حُسْنُ الخُلُق

بطاقة الفهرسة

حُسْنُ الخُلُق

التأليف

الشيخ زياد الساعدي

الشيخ إسكندر الجعفري

الإشراف العلمي

اللجنة العلمية في مؤسسة الخلق العظيم

الإصدار ١٦

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأُولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

إصدار

مؤسسة الخلق العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هوية الكتاب

- عنوان الكتاب: حُسْنُ الخُلُق
- المؤلّف: مؤسّسة الخُلُق العظيم
- الإشراف العلمي: اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخُلُق العظيم
- الناشر: العتبة الحسينيّة المقدّسة
- تقويم النصّ: وحدة تقويم النصّ في مؤسّسة الخُلُق العظيم
- الإخراج الفنّي: محمّد شوكت
- التنسيق: أحمد المذحجي
- الطبعة: الأُولى
- المطبعة: دار المؤمن
- سنة الطبع: ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٢م
- عدد النسخ: ٥٠٠

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد؛ فقد كانت الأخلاق ولا تزال هاجساً مهمّاً؛ يشغل مساحةً واسعةً من الفكر الإنساني على اختلاف اتجاهاته ومصادره المعرفيّة، وقد اشتركت في حمل هذا الهمّ الكبير مختلفُ المدارس الفكريّة والديانات والحضارات، وسعت في معالجته على وفق رؤاها المتفاوتة ومبانيها المختلفة. ويدلّل هذا الاهتمام البالغ على حقيقة في غاية الأهميّة، وهي أنّ الجانب الأخلاقي لدى أبناء البشر عصيٌّ على الإهمال والتجاهل، وأنّ أيّ محاولة لتجاهل هذا البُعد المحوري والفطري، أو التغافل عنه ليست إلّا محاولة لضبط بركانٍ هائج، أو السيطرة على ثورة عارمة في أعماق الإنسان تسوقه إلى ما يرى فيه خيره وسعادته وكماله، وهذا ما يدعو إلى التفكير في هذا الميل الفطري الجارف نحو الأخلاق؛ للإحاطة به والاطّلاع على دقائقه وخفاياه، والعمل على معالجته نظريّاً وعمليّاً.

إنّ التأمّل فيما تعيشه البشريّة ـ اليوم ـ من أزمات مختلفة على مستوى المجتمعات والأفراد يؤكّد حقيقةً مهمّةً؛ وهي أنّ قسطاً كبيراً من تلك الأزمات يعود إلى وجود فراغات كبيرة في المجال الأخلاقي، أخذت تنعكس سلباً على

الجانبين الروحي والسلوكي للإنسان المعاصر، وقد كان لمجتمعاتنا الإسلاميّة نصيبٌ من تلك الأزمات المتعدّدة الجوانب، فأثّرت بشكلٍ كبيرٍ في التراجع الأخلاقي الملحوظ، ولا سيّما مع ملاحظة مدى التعقيد الذي تتسم به التحدّيات الراهنة، وما تحمله الحياة المعاصرة من تغيّرات مهمّة، وانفتاحٍ غير مسبوقٍ على الأفكار والثقافات والأنماط السلوكيّة المختلفة في ظلّ الثورة المعلوماتيّة، والتنوّع المُذهل في وسائل الإعلام والتواصل.

فلا ريب في أنّ ملاحظة ما مرّ ذكره تدعو المهتمّين بالشأن الفكري والثقافي إلى وضع الحلول المناسبة، والعمل الجادّ في سبيل مواجهة هذه الأزمات ومعالجتها على المستويين: النظري والعملي، من خلال التأسيس لرؤية أخلاقيّة شاملة، تقوم في جانبها النظري على الوعي التامّ والدقيق بطبيعة الإنسان، وأبعاده الوجوديّة، وخصائصه، وميوله، ورغباته، وفي جانبها العملي على إحياء القيم والفضائل الأخلاقيّة بشتّى الطرق والوسائل المتاحة. ولا تخفى حاجة هذا العمل المهمّ إلى جهد مؤسساتي منتظم، تتضافر فيه المساعي والخبرات لمواجهة التحدّيات، والنهوض بالواقع الأخلاقي للمجتمع المسلم. وقد سعت إلى ذلك (مؤسسة الخُلُق العظيم) لتكون السبّاقة في هذا المجال. وإليك عزيزي القارئ هذه الإطلالة السريعة عليها.

(مؤسسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها

لقد كان الشعور بالحاجة الملحّة إلى العمل الجادّ في المجال الأخلاقي، من قِبَل القائمين على العمل في العتبة الحسينيّة المقدّسة، حافزاً مهمّاً لإنشاء

مؤسسة متخصّصة، ينصبّ جهدها في إحياء النهج الأخلاقي الإسلامي على المستويين: الفكري النظري، والسلوكي العملي، ونشره وترويجه بين أبناء المجتمع الإسلامي بطرقٍ ونشاطاتٍ مختلفة، فتمخّضت تلك الجهود المباركة عن تأسيس (مؤسسة الخُلق العظيم)، التي اشتُقّ اسمها من قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]؛ تيمّناً بما نعت به الجليلُ الأعلى نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله بهذه الصفة السامية، على أمل أن تسدّ جزءاً من الفراغ الملحوظ في المجال الأخلاقي.

رؤية المؤسسة

تنطلق المؤسسة من الرؤية الإسلاميّة للأخلاق، وتتبنّى استراتيجيةً عامّةً تقوم على ثلاثة عناصر أساسيّة يمكن أن نُعبّر عنها بـ(الأُسس الميتافيزيقيّة للأخلاق)، وهي:

أوّلاً: فطريّة الميل الأخلاقي وإلهيّته

تنطلق الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة من مبدأ التوحيد، والإيمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وتبتني على أنّ الله تعالى قد أودع في الإنسان ميلاً فطريّاً يدفعه نحو الخير وتحصيل الكمال بإرادته واختياره، وتُعدّ الغاية القصوى للأخلاق هي الوصول إلى القرب الإلهي باعتباره الكمال المطلق، وتكمن

---

(١) القلم: آية ٤.

السعادة الحقيقيّة للإنسان في وصوله إلى تلك الغاية والاصطباغ بصبغة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[1]. فالله تعالى هو الموجِد للميل الأخلاقي لدى الإنسان، وهو المقصد والمبتغى الذي يجب على الإنسان التوجّه إليه في كلّ محطّات مسيرته الأخلاقيّة، وأن يكون التوجّه إلى الله عزّ وجلّ هو الروح السارية في كلّ فعّالياته الأخلاقيّة.

ثانياً: تكامل النظام الأخلاقي في الإسلام

تعتمد الرؤية الأخلاقيّة المتبنّاة على أنّ الله تعالى كما أودع في الكون أحسن نظام؛ ليسير فيه كل مخلوق إلى كماله المطلوب، فقد أوجد نظاماً أخلاقيّاً متكاملاً من شأنه أن يوصل الإنسان إلى الكمال من خلال رسم الهدف الأسمى له، وتعيين طريقه، وبيان العقبات التي تعترض مساره، وعيّن القدوة والمرشد في هذا السير، وهو ما تكفّل ببيانه الدين الإسلامي الحنيف، بل هو من أهمّ الوظائف التي بُعث لأجلها سيّد الرسل صلى الله عليه وآله، فقد روي عنه: «**إنّما بُعثتُ لأُتمّمَ مكارمَ الأخلاق**»[2]. ما يعني أنّ هناك نظاماً أخلاقيّاً متكاملاً ومنسجماً مع فطرة الإنسان، تكفّلت ببيانه الرسالة الإسلاميّة؛ فيتحتّم علينا التعرّف عليه، واستكشاف ركائزه وتعاليمه، والعمل على نشرها وترويجها والتثقيف عليها بمختلف الوسائل والأساليب.

---

(١) البقرة: آية١٣٨.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.

ثالثاً: محوريّة الإنسان في الأخلاق

يُشكّل الإنسان المحور في السجال الأخلاقي؛ فهو الموضوع الذي تدور حوله كلّ الجهود والفعّاليات الأخلاقيّة، بكلّ ما يمتلكه من خصائص وجوديّة، ونفسيّة، وطبيعيّة، وعقليّة، وميتافيزيقيّة، وما له من احتياجاتٍ ورغباتٍ وميول، وكلّ ما يؤثّر في اتصافه بالصفات الأخلاقيّة، وفي صدور الأفعال الاختياريّة عنه. ومن الواضح أنّ كل محاولة تهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانيّة يجب أن تنطلق من رؤية صحيحة وواضحة ومتكاملة في طبيعة تلك الخصائص والميول والمؤثّرات. ونعتقد ـ جازمين ـ أنّ الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة تتوفّر على قراءة واقعيّة ودقيقة وتامّة وشاملة، تغطّي العناصر المهمّة والأساسيّة في وجود الإنسان وطبيعته وخصائصه وميوله، وكلّ المؤثّرات في مسيرته الأخلاقيّة.

وما ذكرناه ـ آنفاً ـ لا يمنع من الانفتاح على العلوم والمعارف المهتمّة بدراسة الإنسان وشؤونه وأبعاده المختلفة، ولا سيّما مع التطوّر الكبير الذي شهدته تلك العلوم وتخصصاتها الدقيقة، كالعلوم الطبيعيّة والإنسانيّة؛ من قبيل علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم النفس (السيكولوجيا)، وعلم الاجتماع (السيسيولوجيا)، وعلم التربية وغيرها، إذ يُمكن الاستفادة من معطيات تلك العلوم والمعارف في المجالات التي تصبُّ في سبيل تحصيل الوعي بخصائص الإنسان، والاطّلاع على الوسائل المؤثّرة في التربية والتهذيب، شريطة أن لا

تتصادم مع الأُسس العقائديّة، ولا تتنافى مع المبادئ والقِيم الأخلاقيّة والتعاليم التربويّة الإسلاميّة.

أهداف المؤسسة

تجدر الإشارة ـ في سياق الحديث عن مؤسسة الخُلق العظيم ـ إلى الأهداف المتوخاة من وراء تأسيسها؛ إذ تهدف إلى:

١ـ رفد المكتبة الإسلاميّة بالنتاجات العلميّة التحقيقيّة في المجال الأخلاقي؛ من خلال تأليف الكتب والموسوعات والبحوث والمقالات العلميّة الرصينة.

٢ـ إحياء التراث الأخلاقي الإسلامي؛ عبر رصد الكتب والمخطوطات الأخلاقيّة المهمّة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفهرسة التراث الأخلاقي والتعريف به.

٣ـ النهوض بالجانب الأخلاقي والسلوكي للفرد والمجتمع؛ وذلك عن طريق النشاطات المختلفة التي تخاطب الناشئة والشباب، وطلبة الجامعات، والأساتذة، والكوادر العلميّة والثقافيّة والمهنيّة، وأصحاب الاختصاص في المجال الأخلاقي، مضافاً إلى الأُسر، والمجتمعات بأطيافها كافّة.

٤ـ رصد المحاضرات والدروس والخُطب الأخلاقيّة النافعة والمؤثّرة التي أفادها العلماء والمختصّون في هذا المجال، والعمل على نشرها بأساليب مختلفة؛ كتدوينها وتحويلها إلى كتب، أو نشرها على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥ـ إقامة المؤتمرات العلميّة، والندوات البحثيّة المختصّة؛ من أجل إثراء الفكر الأخلاقي، وفتح آفاق بحثيّة جديدة تُناسب روح العصر ومتطلباته، وإقامة الدورات المختصرة في الأخلاق العمليّة، سواء منها ذات الموضوعات العامّة، كالأخلاق الإسلاميّة، أو الخاصّة كأخلاق المهنة، وأخلاق الأُسرة، وغيرها.

٦ـ رصد الظواهر السلبيّة في المجال الأخلاقي، والمشاكل السلوكيّة التي يعانيها المجتمع، لتقديم دراسة متكاملة فيها؛ بغية وضع الحلول المناسبة لها.

٧ـ إعداد البرامج الإعلاميّة التي تُسهم في معالجة المشاكل الفرديّة والاجتماعيّة المختصّة بالجوانب الأخلاقيّة، سواء منها البرامج المُعدّة للبثّ على شاشات التلفاز، أو المناسبة للنشر على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٨ ـ رفد الساحة الفكريّة بالنتاجات الأخلاقيّة المهمّة عبر ترجمتها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربيّة، وكذلك ترجمة النتاجات المكتوبة باللغة العربيّة إلى اللغات الأخرى.

٩ـ فتح آفاق التعاون مع الجامعات والمراكز العلميّة والمؤسسات والشخصيّات المختصّة والمعنيّة بهذا الشأن؛ لترشيد العمل وتطويره، والإفادة من الكفاءات في هذا المجال.

١٠ـ إعداد كوادر متخصّصة بالأخلاق الإسلاميّة؛ من أساتذة وخطباء وباحثين.

١١ـ السعي إلى إعداد المناهج الدراسيّة في مجال الأخلاق الإسلاميّة، وتقديمها للمدارس الدينيّة، والمدارس والمعاهد والجامعات الأكاديميّة، والمراكز العلميّة الأخرى.

مشاريع المؤسّسة

باشرت مؤسسة (الخُلق العظيم) بإنشاء جملة من المشاريع في سبيل الوصول إلى أهدافها المنشودة، سواء المشاريع الطويلة الأمد والاستراتيجية أو غيرها، وقد صدر لها بعض الإصدارات في هذا الصدد، في حين سيرى بعضها النور قريباً بإذن الله تعالى، وهذه المشاريع هي:

١ـ موسوعة المواعظ الحَسَنة

يعمل هذا المشروع على تدوين خطب الجمعة الدينيّة ذات المضامين الأخلاقيّة، التي ألقاها ممثّل المرجعية العليا في النجف الأشرف والمتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الصحن الحسيني الشريف منذ عام (٢٠٠٣م)، وقد عزمت المؤسّسة على إخراجها بصيغة كتاب يتّسم بتعديلٍ وتحقيقٍ واستخراجٍ للعناوين وغير ذلك.

٢ـ موسوعة الأخلاق الإسلاميّة

يهدف هذا المشروع إلى تأليف موسوعة ألفبائيّة أخلاقيّة، أو ما يُسمى بـ(دائرة المعارف الأخلاقيّة) تهتمّ بجمع المفاهيم الأخلاقيّة من الصفات

والأفعال، وذلك بنحو الترتيب الهجائي، وتقديم عرضٍ كاملٍ ومستوفٍ وموثّق لكلّ ما ورد في تلك المفاهيم على وفق الأسلوب المتّبع في تدوين الموسوعات ودوائر المعارف؛ من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبيان حقيقة المفهوم الأخلاقي، ووصفه في القرآن والسنّة والتراث الأخلاقي، وبيان أقسامه وأسبابه ومناشئه وآثاره ونتائجه، والآليّة العمليّة للتحلّي به إن كان من الفضائل، والتحرّز عنه إن كان من الرذائل، وما إلى ذلك من المباحث المتعلّقة بكلّ موضوع؛ وهذا ما يجعل المشروع سابقةً مهمّةً في المصنّفات الأخلاقيّة الشيعيّة، ومرجعاً قيّماً ومعتبراً في الأخلاق الإسلاميّة.

٣ـ ترجمة النتاجات الأخلاقيّة

تهتمّ المؤسّسة بترجمة الكتب الأخلاقيّة المهمّة باللغة العربيّة وبالعكس، ونشرها بعد المراجعة الدقيقة لها وتقويمها من قِبَل اللجنة العلميّة في المؤسسة، وقد تمّ العمل على ترجمة عدّة كتب.

٤ـ موسوعة التراث الأخلاقي

تتضمّن هذه الموسوعة تعريفاً مختصراً بالكتب الأخلاقيّة على وفق الترتيب الهجائي، مع فهرسة تفصيليّة للمباحث الأخلاقيّة في كلّ كتاب، وتنتهي بفهرس موضوعي للمباحث الأخلاقيّة في جميع تلك الكتب؛ ليكون دليلاً نافعاً للمحققين والباحثين.

٥ـ إعداد مناهج دراسيّة أخلاقيّة

تهدف المؤسسة إلى إعداد مناهج درسيّة في مادّة الأخلاق لمختلف المراحل في المدارس والثانويّات العامّة والمعاهد والكليّات. وتقوم فكرة المشروع على إحصاء المناهج الدراسيّة في أهمّ بلدان العالم وترجمتها ودراسة محتواها، وتقييمها في ضوء معايير الأخلاق الإسلاميّة لغرض التعرّف على نقاط القوّة والضعف فيها، لتشرع المؤسسة ـ بعد ذلك ـ بكتابة مناهج خاصّة لمختلف المراحل الدراسيّة المذكورة في مادّة الأخلاق مستقاة من الأخلاق الإسلاميّة.

٦ـ الأدب الأخلاقي

إنّ للأدب بالغ الأثر في نفوس مخاطبيه من مختلف الفئات والأعمار والمستويات، وهذا ما يدعو إلى توظيفه في نشر القيم والمفاهيم الأخلاقيّة النبيلة. وقد رأت المؤسسة أن تعمل على ذلك في مجالين:

الأول: الرواية الأخلاقيّة؛ ويتمّ العمل فيه على تأليف روايات أدبيّة أخلاقيّة يكون المستهدف فيها فئات الأطفال والناشئة والشباب، من خلال صياغة المفاهيم الأخلاقيّة، أو كتابة القصص الأخلاقية المأثورة عن المعصومين عليهم السلام والعلماء والعظماء، بأسلوب روائي معاصر متناسب مع الفئات المستهدفة.

الثاني: الشعر الأخلاقي؛ حيث يعمل فيه على توظيف الأشعار الهادفة ذات المضامين الأخلاقيّة المؤثرة، وذلك عن طريقين؛ هما:

أ) إعداد موسوعة ألفبائيّة للأشعار الأخلاقيّة، حيث تبوّب الأشعار ـ وفق العناوين الأخلاقيّة المتضمنة فيها ـ في ترتيب ألفبائي، لتكون رافداً مهمّاً للباحثين والخطباء وهواة الشعر والأدب.

ب) كتابة الشعر الأخلاقي في الأحداث المعاصرة؛ فتتم دعوة الشعراء والأدباء واستكتابهم لتسليط الضوء على الفضائل الخُلقيّة والظواهر الاجتماعيّة الإيجابيّة بغية دعمها وترويجها، ونقد الظواهر الاجتماعيّة والأخلاقية السلبيّة ومواجهتها.

٧ـ تحقيق التراث الأخلاقي وتدوينه

تعمل المؤسسة على إحياء التراث الأخلاقي، وذلك عن طريقين:

الأول: تحقيق التراث المخطوط والمطبوع؛ ويكون عبر جمع المخطوطات المهمّة والكتب المطبوعة غير المحقَّقة، لكي يتمّ العمل على تحقيقها وفق الأساليب الحديثة في التحقيق.

الثاني: تقرير النتاجات الأخلاقيّة وتدوينها؛ ويتمّ عبر رصد الدروس والمحاضرات الأخلاقيّة المؤثّرة للعلماء والفضلاء والأساتذة في الحوزة وسائر المراكز العلميّة، والعمل على إخراجها على شكل كتب علميّة، بما يحتاج ذلك من تنظيم وتبويب وتحقيق للمباحث الواردة فيها.

٨ـ مجلة الخُلُق العظيم

من المشاريع المهمّة للمؤسسة إصدار مجلّة علميّة مختصّة تُعنى بالشأن الأخلاقي، تهتمّ باستقطاب ونشر البحوث العلميّة الرصينة للأساتذة والباحثين.

٩ـ تأليف سلسلة الفضائل والرذائل

تعمل المؤسّسة على تأليف سلسلة كتيّبات في جملةٍ من الفضائل والرذائل الأخلاقيّة، يتمّ من خلالها مخاطبة الشريحة المتوسّطة من القرّاء، وتتناول المواضيع الأخلاقيّة المهمّة وذات الأولويّة الاجتماعيّة، لمعالجة أهمّ المشاكل الأخلاقيّة، والحثّ على مكارم الأخلاق الإسلاميّة، والترويج لها.

١٠ـ إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقيّة

تعمل المؤسسة على إقامة سلسلة من المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقيّة، بحضور نخبة من الأساتذة والباحثين المختصّين بالجانب الأخلاقي، لبيان المواضيع الأخلاقيّة التخصصيّة المهمّة، وعرض أهم الآراء والنظريّات فيها، كفلسفة الأخلاق، وتاريخ علم الأخلاق، والمدارس الأخلاقيّة، والمقارنة بين علم الأخلاق والعلوم والحقول المعرفيّة الأخرى وما شابه ذلك؛ بغية إثراء الساحة الإنسانيّة والدينيّة بالفكر الأخلاقي الرصين الذي يعتمد بالدرجة الأساس على الأُسس والمبادئ الإسلاميّة.

١١ـ المشاريع الإعلاميّة

تعمل المؤسسة على إعداد جملة من البرامج الإعلاميّة المختلفة، سواء منها ما يُعدّ للبثّ التلفزيوني، أو ما يكون مناسباً للنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، من مقاطع وملصقات تعليميّة وتثقيفيّة ذات مضامين أخلاقيّة.

١٢ـ إقامة دورات في الأخلاق الإسلاميّة

من مشاريع المؤسسة الاستراتيجيّة هو إقامة دورات قصيرة في الأخلاق العمليّة لمختلف الفئات، يتمّ فيها تدريس التعاليم الأخلاقيّة الخاصّة بكل فئة من الفئات، كأخلاق المهنة، وأخلاق الأُسرة، وما شابه ذلك.

١٣ـ المكتبة الإلكترونيّة الأخلاقيّة

قامت المؤسسة بعمليّة مسح ميداني في المكتبات والمواقع الإلكترونيّة وجمع النسخ المتوفّرة للكتب الأخلاقيّة والتربويّة؛ لتكون مصدراً مهمّاً للباحثين في هذا المجال، ليتم العمل على إعداد تطبيقٍ مختصٍّ بالمجال الأخلاقي.

هذا الكتاب

وهذا الكتاب الذي بين يدي عزيزي القارئ (حُسن الخُلُق) يتناول موضوعاً أخلاقياً مهمّاً جدّاً، وهو حُسن الخلُق بالمعنى الأخصّ، أي: أخلاقيات التعامل مع الآخرين. وتنبع أهميّة هذا الموضوع من كونه يمثّل روح الأواصر التي تربط بين أفراد المجتمع أو بين دوائره المصغّرة كالأُسَر والشعوب مثلاً، فمن دون التعامل على وفق أخلاقيّات السلوك والتعايش مع الآخرين لا تبقى هناك روابط بين المجتمعات أو أفراد المجتمع الواحد. هذا مضافاً لما يمثّله هذا الجانب من أهميّة على مستوى تقويم شخصيّة الفرد وتحديد مستوى مقبوليّته لدى الآخرين.

وقد تناول الكاتب الموضوع المذكور من جوانبه المختلفة بأسلوب جامع بين اللغة العصرية التي تتناغم مع أذواق القرّاء في وقتنا الراهن، وبين الاستقاء من تراثنا الإسلامي الغنيّ جدّاً في المجال الأخلاقي المذكور، وبلغةٍ جمعت بين السلاسة والوضوح من جهةٍ، والدقة والرصانة العلميّة بما يتناسب والفئة المستهدفة من القرَّاء، وهي فئة الشباب المتوسطي الثقافة من جهةٍ أخرى.

وقد ساهم عدّة من الإخوة الأفاضل في إعداد هذا الكتاب، فشكر الله سعيهم وبارك جهودهم، وأحسن جزاءهم؛ ونخصّ بالذكر منهم: فضيلة الشيخ زياد الساعدي، وفضيلة الشيخ إسكندر الجعفري؛ إذ كان لهما دورٌ كبيرٌ ومحوريٌّ في هذا العمل، فنسأل الله العليّ القدير لهما دوام التوفيق والسداد.

كما أنّ للأساتذة الكرام؛ أعضاء اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخلُق العظيم جهوداً متواصلة في الإشراف العلمي على العمل والمراجعة المتأنّية للكتاب، وإبداء الملاحظات القيّمة التي أسهمت في خروجه بهذه الحُلّة القشيبة، فشكر الله سعيهم وجزاهم خير جزاء المحسنين.

ونرى لزاماً علينا أن نتقدّم بالشكر والامتنان لسماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينيّة المقدّسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، على رعايته للمؤسّسة ودعمه لمشاريعها، فنسأل الله تعالى أن يمدّ في عمره، ويجعل هذا المشروع المبارك ذخراً له ولنا.

وختاماً: نرجو أن يساهم هذا العمل المتواضع في التعريف بشيءٍ يسيرٍ من علوم القرآن الكريم، والعترة الطاهرة عليهم السلام، وأن يشارك في نشر الفضيلة والخُلق الرفيع في مجتمعاتنا الإسلاميّة، ونسأل الله تعالى أن يتقبّل منّا ومن القائمين على هذا العمل والمنجزين له بأحسن القبول، وأن يجعله ذخراً لنا ولهم جميعاً يوم نلقاه؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

الشيخ صباح الساعدي

مدير مؤسّسة الخُلُق العظيم

١٧/ جمادي الأولى / ١٤٤٤هـ ق

١٢/ ١٢/ ٢٠٢٢م

---

(١) الشعراء: آية٨٨ ـ ٨٩.

المقدّمة

حينما نلاحظ كلام الكتَّاب من أهل العصور المختلفة في وصف مجتمعاتهم نجد فيه أمراً ملفتاً إذ نرى أنَّ صاحب كلِّ عصر يُخيَّل إليه بأنَّ المجتمع في وقته وصل إلى الذروة من الانحدار الخلُقي وبلغ أقصى نقطة يمكن أن يصلها في الابتعاد عن الآداب السامية والأخلاق الفاضلة. ويبدو أنَّ كل واحد من أولئك هو مصيب إلى حدٍّ ما باعتبار أنَّ هناك تناسباً عكسياً ـ بنحو العموم وبشكل عام ـ بين تقدم المراحل الزمنية ـ مع ما تحمله من تحولات وتطورات على أصعدة مختلفة ـ وبين مستوى اهتمام البشرية بالأمور القيمية ذات الأبعاد المعنوية فكلَّما لاحت في الأفق ملامح تكوّن جيل جديد كلَّما شعر أبناء الجيل السابق ـ ممن يعاصرون مرحلة بداية نشوء الجيل الجديد ـ بالخطر على تراثهم الأخلاقي وعلى أعرافهم الاجتماعية. والظاهر أنَّ هذه مسألة طبيعية إذا ما لوحظت العوامل الواقعية المحيطة بهذه الظاهرة بدءاً من الطبيعة البشرية، ولا سيما على مستوى الإدراك الجمعي للمجتمعات وما يصاحبه من نقص في التركيز وعدم مبالاة في الأولويات المشتركة للمجتمع، ولا سيما على مستوى الأمور المعنوية والمفاهيم القيمية وانتهاءً بالمتغيرات الخارجية التي تصاحب توالي سلسلة المبادلة بين الأجيال المتعاقبة ـ كالحروب والتغيرات السياسية الكبيرة وانتشار الأوبئة وحصول الكوارث الطبيعية العامة ونحو

ذلك ـ والتي كثيراً ما تترك أثرها على واقع المجتمعات المعاصرة لتلك المؤثرات، ومن ثَمَّ تتسلمها عن تلك المجتمعات الأجيال اللاحقة كتركة قهرية قد وصلتها بلا اختيار.

ولم نكن نحن بمعزل عن هذه السنَّة التاريخية المتكررة بحسب العادة. بل من الطبيعي أن تشكِّل مرحلتنا الحالية الذروة بلحاظ ما سبق من مراحل، من حيث الابتعاد عن عالم الأخلاق الفاضلة عموماً بل يمكن القول: بأنَّ هناك ما يميِّز وقتنا المعاصر عمَّا سواه ـ عدا ما أشرنا إليه من كونه النقطة الأخيرة التي وصلت إليها رحلة البشرية إلى الآن ـ وهو ما نلمسه من توظيف مفتعل للظروف من قبل البعض وتسخير لكل الإمكانيات المتقدمة التي وصلت إليها البشرية؛ في سبيل هدم كل بناء قيمي على مستوى الأخلاق والآداب وتفتيت كل كيان من شأنه أن يحفظ تلك القيم ويصونها على المستوى العملي والتطبيقي بل صار هذا أمراً معلَناً من قبل بعضهم بواسطة توظيف شعارات ظاهرها برَّاق وباطنها مظلم من قبيل حرية الاختيار والخصوصية الشخصية ومراعاة حقوق الإنسان ونحو ذلك من مفاهيم هي ـ بشكل عام ـ مقبولة وموافقة للفطرة السليمة والتعاليم السماوية ولكنَّها وظِّفت بشكل صارخ لأجل ضرب الفطرة السليمة وخرق تعاليم السماء السمحاء؛ إشباعاً للشهوات، وانقياداً مطلقاً للغرائز الحيوانية ووراء ذلك غايات عقدية وسياسية سيئة. وإلا فمَنْ كان يتصور أن يكون زواج المثليين مثلاً ـ والذي

كانت تأباه حتى المجتمعات البدائية نسبياً وتمنعه وتشدد العقوبة عليه ـ أمراً مقبولاً في بعض المجتمعات المتقدمة في المجالات المادية والتي تزعم التحضر والتقدم على مستوى الثقافة المجتمعية والسلوكية ومحمياً بقانون معلن؟!

وعلى أية حال فالكلام في هذا المجال طويل ومتشعِّب خصوصاً وأنَّ المشكلة المشار إليها لا تختص بجانب معين من جوانب المنظومة القيمية الأخلاقية، بل هو يكاد يعمُّ جميع مجالاته؛ ولذلك كان علينا ـ ومن باب أداء بعض الواجب في التصدي لظاهرة الانحدار الأخلاقي في المجتمعات المعاصرة عموماً والحدّ من تأثيرها على مجتمعاتنا الإسلامية المحافظة ـ أن نختار واحداً من تلك المجالات الكثيرة، ليتم التركيز عليه في هذا الكتاب الذي يعدُّ حلقة من سلسلة تتناول الفضائل والرذائل بأسلوب يراعى فيه الذوق العام لجيل الشباب الصاعد وبطريقة بحثية واقعية تتحدَّث عن واقعنا المعاش فكان موضوع بحث هذا الكتاب هو حُسن الخُلُق أو قل بتعبير ثانٍ: أخلاقيات التعامل مع الآخرين أو بتعبير ثالث: آداب المعاشرة؛ فإنَّ لهذا المجال أهميته القصوى بلحاظ ما يترتب عليه من فوائد وثمرات عظيمة على مستوى الفرد والمجتمع وما يترتب على التقصير فيه والإخلال به من مفاسد كبيرة كما سيتضح لِمَنْ يطالعه وقد أعطيناه عنوان (حُسنُ الخُلُق). والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

الفصل الأوّل

إطلالة معرفية

الفصل الأوّل: إطلالة معرفية

مَنْ منَّا لا يسعى أو ـ على الأقل ـ لا يتمنَّى أَن يتحلَّى بالأخلاق الفاضلة، وأَنْ يفعل كلَّ ما هو حسَنٌ وخير؟! ومَنْ منَّا لا يريد أنْ يتعامل معه الناس بأفضل طرق التعامل من الاحترام والعدل والإنصاف والتسامح والإحسان ونحو ذلك؟!

لا ريب في أنَّنا جميعنا نفضِّل الأخلاق الحسنة والتحلِّي بها، سواء كان بلحاظ أنفسنا وكيف ينبغي أن يكون تعاملنا مع الآخرين أم كان بلحاظ الآخرين وكيفية تعاملهم معنا. فحتى أولئك الذين يسلكون سبيل الشَّر ويتصفون بالخلُق السيّئ هم في كثير من الأحيان يشعرون بانحرافهم عمَّا هو حسَنٌ وخير ويجدون تأنيباً في ضميرهم عما يصنعونه ولكنَّهم يخالفون معرفتهم تلك ووجدانهم ذاك لعوامل عديدة، من قبيل محاولة الحصول على فائدةٍ أو لذَّةٍ مادية، أو لأجل الاستجابةِ لغريزة الغضب وحبِّ الانتقام مثلاً فيفعلون ما هو بعيد عن الأخلاق الفاضلة بالرغم من إقرارهم ـ ولو ضمنياً أو في قرارة أنفسهم ـ بحُسنها وأفضليتها على الخلُق السيئ.

مثلاً ينقل لنا التاريخ أنَّ مروان الثاني[١] آخر ملوك بني أمية لمَّا واجه جيش العباسيين في معركة الزاب التي كانت فاصلةً بينهما دنا من بعض رجاله وسأله عمَّن هو قائد جيش العباسيين فأجابه بأنَّه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العبَّاس. فإذا به يقول له: لَوددتُ أنَّ علي بن أبي طالب مكانه! فيتعجَّب الرجل من ذلك ويقول له: كيف تتمنَّى أن يكون قائدهم علي بن أبي طالب ونحن نعرف كيف هو عليٌّ في شجاعته!! فيجيبه مروان: بأنَّ الذي دعاه لذلك هو أنَّ علي بن أبي طالبٍ مع شجاعته هو صاحب دينٍ وخُلُق[٢] ما يعني أنَّه عليه السلام لو ظفر في الحرب لَمَا تجاوز حدود المروءة وما تقتضيه الأخلاق الفاضلة.

فإذاً نحن جميعاً أو أكثرنا يفضِّل الأخلاق الحسنة: كالإحسان والشجاعة والكرم، على ما يقابلها من رذائل: كالإساءة والجبن والبخل ولكنَّنا نختلف أو نتفاوت على مستوى التطبيق والتحلِّي بتلك الأخلاق والسجايا.

الأخلاق كمفهوم والخُلُق كسجيَّة

وينبغي الالتفات إلى أنَّ هناك فرقاً بين الأخلاق كمفهوم ومعنىً بذاته وبين الخُلُقِ كصفةٍ وسجيةٍ قائمةٍ في النفس. فكم من فرق بين مفهوم

---

(١) والمعروف بمروان الحمار.

(٢) أُنظر: المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج٧، ص١٣٤.

الإحسان ـ مثلاً ـ والذي هو: «**فعلُ ما ينبغي أَنْ يُفعل من الخير**»[١] وبين أنْ يكون الشخص مُحسِناً فعلاً بحيث يصدر منه فعل الخير؟! فمفهوم الإحسان وأنَّه فعل ما ينبغي أن يُفعل قد يعقله ويتصوره حتى المسيئ الذي لا يملك ذرةً من الإحسان على صعيد السلوك العملي.

فالمفهوم هو الصورة الذهنية التي يمكن أن تحصل في ذهن الشخص، حتى ذلك الذي أمعن في الإساءة، ولكنَّنا لا نصفه بأنَّه محسن، ولو بقي انطباع تلك الصورة في ذهنه لوقت طويل بينما نحن ندعو مَن يمارس الإحسان في الواقع بأنَّه محسِنٌ، وإن لم يكن يملك صورةً واضحة في ذهنه عن الإحسان، بل كان يمارس ذلك على طبق سجيته الطيبة.

ولكن هذا لا يعني أنَّ الذي أحسنَ مرَّةً أو مرتين أو أكثر صار بالضرورة مُحسِناً، بحيث يشمله مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] بل هو يكون كذلك إذا رَسَخَت هذه الصفة في نفسه، بحيث يكون صدور الإحسان منه بشكل انسيابي وتلقائي، ومن دون أَنْ يحتاج إلى تأمُّلٍ وتدبُّرٍ وروية وإنَّما يصدر عنه ذلك لأنَّ طبعه يقتضي ذلك. وهذا ما قد نعبر عنه بالخُلُق[٣].

---

(١) الجرجاني، الشريف علي بن محمد، معجم التعريفات: ص١٣.

(٢) المائدة: آية١٣.

(٣) أُنظر: المظفر، محمد رضا، المنطق: ج٣، ص٣٤٤. وأيضاً: فهيم نيا، محمد حسين، الأخلاق الإسلامية في القرآن: ص٣٦.

إذا عرف القارئ الكريم هذا فسوف يتضح له أنَّ موضوع البحث في كتابنا هذا هو حُسْنُ الخُلُقِ بما هو سجية وصفة قائمة في النفس وليس هو مفهوم حسن الخُلُق أو شيئاً مما يندرج تحته، كمفهوم الإحسان، أو مفهوم الإنصاف ونحو ذلك وإذا وجد أننا نفعل هذا فما ذلك إلا من باب المقدمة أو الاستشهاد.

معنى حُسن الخُلُق

والحُسْنُ ضدّ القُبْح[١] والخُلُق هو السجية التي خُلِق الإنسان وقُدِّر عليها[٢]. هذا في اللغة.

وأمَّا في الاصطلاح، فالسجية لا تُسمَّى خُلُقاً ما لم تكن راسخةً في النفس؛ بحيث يكون صدور الأفعال عن الشخص الذي يتصف بتلك السجية سهلاً ويسيراً، ولا يحتاج إلى رويَّة وتأمُّلٍ وإعمال فكر. وعندئذ إذا كانت تلك السجية مصدراً للأفعال الحسنة والجميلة ـ بحسب تشخيص العقل، كالعدل وإنصاف الآخرين، أو بحسب حكم الشرع، كإيثار الشخص الآخرين على نفسه ـ سمِّيت خُلُقاً حسناً وإن كانت تصدر عنها الأفعال القبيحة كالظلم والأنانية سمِّيت خُلُقاً سيّئاً[٣]. فمَن تستغرق معه وقتاً لتُقنعه بمساعدة زميلك في العمل؛ لأنَّه

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٥، ص٢٠٩٩.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٢١٤.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات: ص٨٩.

يمر بظرف صحي قاسٍ، فتضطر إلى أن تشرح له حيثيات تلك الظروف وطبيعة علاقته به لتحرِّك مشاعره، لا يقال عنه: كريم. حتى لو استجاب لدعوتك وساهم في المساعدة وإن كان هو يستحق الثناء والتقدير لأنَّه فعل خيراً بل يقال عن الشخص بأنه: كريم. إذا كان يحمل نفساً طُبعت فيها صفة البذل ورسخت عنده بحيث لا تحتاج عند طلب مساعدته غير إعلامه بالظرف الصعب لزميله إنْ لم يكن يعلم به. وبهذا اتضح المراد من مفردتي: الحُسن والخُلُق بمعنى: المراد من كلٍّ واحدة من هاتين الكلمتين.

ولكن ما نريد قوله هنا هو أنَّ التعبير بكلتا المفردتين في تركيب واحد بحيث يقال: (حُسن الخُلُق) يراد به عادةً خُلُقٌ معين وهو ما له ارتباط بسلوك الشخص مع الآخرين، فيدعوه إلى معاملتهم بما هو جميل ومحمود عقلاً، أو ممدوح شرعاً كالرفق بهم، ولين الجانب لهم، وطيب الكلام معهم، والبِشر بوجوههم وهو ما قد يُدعى بـ(حسن الخلُق بالمعنى الأخص)[1].

ولهذا ورد أنَّ بعض أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام سأل الإمام عن حدّ حسن الخلق فقال عليه السلام: «**تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببِشْرٍ حَسَنٍ**»[2].

---

(١) أُنظر: النراقي، ملا محمد مهدي، جامع السعادات: ج١، ص٢٧١. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٨، ص٣٧٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٣.

الخلق الحسَن وحُسن الخُلق

ولعله اتضح أنَّ هناك فرقاً بين التعبير بـ(الخُلُق الحسَن) والتعبير بـ(حُسن الخلُق) فالتعبير الأول يراد به عادةً كل خُلُقٍ فاضلٍ كالصدق والوفاء والشجاعة والكرم والتواضع ونحوها ويقابله الخُلُق السيئ الذي يصدق على ما يقابل ما تقدم كالكذب والخيانة والجُبن والبُخل والتكبر ونحوها. بينما التعبير الثاني أعني: حُسن الخلُق يراد به ـ كما عرفت قريباً ـ خُلُقاً معيناً وهو خصوص ما له علاقة بأسلوب التعامل مع الآخرين وكيفية معاشرتهم والتعايش معهم.

وعلى هذا فالنسبة بين التعبيرين هي العموم والخصوص أي: إن الأول يكون أوسع من الثاني؛ فالخلُق الحسَن يصدق على كل خُلُق جميل ومحمود عقلاً أو ممدوح شرعاً، كالصدق والوفاء والحلم والكرم والشجاعة ويشمل حُسن الخلُق بالمعنى الذي بيَّناه فهو الأعمُّ وحُسن الخُلق هو قسم من أقسام الخُلُق الحسَن وصورة من صوره المتعددة فيكون هو الأخص.

(حُسن الخُلُق) مفهوم واسع

وإذا كان المقصود من حُسن الخلُق كلَّ ما له علاقة بأساليب التعامل مع الآخرين، وكيفية معاشرتهم فهو بدوره سيشمل سجايا عديدة ممَّا له علاقة بهذا المجال، من قبيل طلاقة الوجه، والرفق بالناس، وإنصافهم، ومواساتهم، والإحسان إليهم، ونحو ذلك بل هو يشمل بعض الآداب السلوكية مما له

علاقة بأساليب التعامل مع الآخرين، كإفشاء السلام، واحترام الكبير مثلاً[١]. وسواء كان استعمال لفظ (حسن الخُلُق) في مثل هذه الآداب هو استعمالاً حقيقياً أم مجازياً فهذا لا يؤثر على البحث في مثل هذه المواضيع التي تدخل في مجال الأخلاق العملية التي يكون الغرض منها تهذيب النفوس وتصحيح سلوكيات الناس على المستوى العملي. ولهذا لا مجال لتسجيل إشكال على مَن يُدرِج مثل هذه الآداب في مفهوم حُسن الخلُق ويتناولها بالبحث تحت هذا العنوان. وفي الرواية التي نقلناها عن الإمام الصادق عليه السلام قبل قليل ما يساعد على الحكم بصحة مثل هذا الاستعمال؛ إذ قال عليه السلام في تحديد حُسن الخلق: «**تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببِشْرٍ حَسَنٍ**»[٢] حيث جعل طيب الكلام من مصاديق حسن الخُلق والحديث

---

(١) هناك فرق بين الأخلاق والآداب من جهات، لعلَّ أهمها هو أنَّ الأخلاق ـ كما عرفت ـ هي هيئات نفسانية تكون راسخة في النفس، وتؤدي إلى أن يصدر من الشخص ما تقتضيه بسهولةٍ ويُسر، فالصدوق يصدر منه الصدق تلقائياً، وإذا كذِب فتجده يتكلَّف ويتحرَّج، والكريم يبذل للآخرين ويهب للمحتاجين مثلاً بدون تكلف وهكذا. بينما الآداب هي الهيئات والصور الحسَنة التي ينبغي أن تقع عليها الأفعال المشروعة والمقبولة، كآداب الدعاء وآداب ملاقاة الأصدقاء. وعلى هذا فإفشاء السلام والمبادرة بالتحية عند لقاء الآخرين هو من الآداب لا الأخلاق. ويمكن بهذا الصدد ملاحظة: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٦، ص٢٥٦.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٣.

بخصوص إلقاء السلام يشمله أيضاً بل إنَّ إلقاء التحية والسلام هي من طيب الكلام كما هو واضح[١].

سوء الخُلُق

ويقابل حُسن الخُلُق بالمعنى الأخص سوءُ الخُلُق بالمعنى الأخص وهو تلك السجية التي توجب التضجّر وانقباض الوجه والتعامل مع الناس بتعالٍ وتوجيه الكلام السيئ لهم ونحو ذلك؛ فهو بالضد تماماً من حُسن الخُلُق الذي هو محل حديثنا بالأساس هنا.

وقد ذكروا أنَّ سوء الخُلُق هو من نتائج الغضب المذموم كما أنَّ حُسن الخُلُق هو من نتائج الحلم الممدوح[٢]؛ فإنَّ الإنسان إذا كان واسع الصدر، متأنياً في أفعاله مع الآخرين وفي ردود أفعاله معهم ومن طبيعته أن يوزن الأمور بموضوعية وبعيداً عن انفعالات النفس الآنية وأهوائها المتطرفة؛ فمن الطبيعي أن يُنتج ذلك حُسن تعامله مع الناس. وبالعكس من ذلك ما إذا كان ضيّق الصدر حادَّ المزاج ومتسرعاً في أفعاله ومنساقاً لتقلبات نفسه وخلجاتها.

---

(١) ووجه المناسبة بين المعنى الحقيقي لحسن الخلق ـ وهو الهيأة النفسانية الراسخة المعلومة ـ وبين هذه المعاني هو كون هذه المعاني والآداب هي من الآثار الملازمة لتلك الهيأة النفسانية المخصوصة ونابعة عنها. أُنظر: المازندراني، المولى محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج١، ص٢٩١.

(٢) أُنظر: النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج١، ص٢٧١.

حسن الخُلق بين الطبع والتطبُّع

وهناك بحث عند الأخلاقيين عن الإنسان هل هو خيّرٌ أو هو شرير بطبعه؟ وهل الأخلاق عموماً ـ ومنها حُسن الخلق بطبيعة الحال ـ هي بالطبع بأن يكون الإنسان مجبولاً عليها أو هي بالتطبُّع والاكتساب؟ وقد اختلفت الآراء في ذلك وأرجحها وأوفقها للوجدان القول: بأنَّه يولد وله استعداد للخير والشر ومِنْ ثَمَّ تؤثر فيه عوامل عديدة في تكوُّن شخصيته وانحيازه في سلوكياته لأحد الجانبين[١]. وفي النصوص الشرعية ما يؤكد هذا الرأي، كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٢] وقوله صلى الله عليه وآله: «**كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة حتى يكون أبواهُ يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِرَانِهِ ويُمَجِّسانِهِ**»[٣].

ولكن مع هذا لا يمكن إنكار أنَّ هناك تأثراً على صعيد الأخلاق بالصفات الخَلْقية للأشخاص ولا سيما في مجال حديثنا أعني: حسن الخلق وما يتعلق بالسلوكيات مع الآخرين فقد تجد شخصاً منقبض النفس وضيّق الصدر بطبعه ومن صغره بينما تجد آخر منشرحاً واسع الصدر ومن

---

(١) أُنظر: موسى، محمد يوسف، مباحث في فلسفة الأخلاق: ص٤٧ وما بعدها.

(٢) البلد: آية١٠. وقد ورد في الحديث الشريف تفسيراً للآية الشريفة: «هما نجدانِ: نجدُ الخيرِ ونجدُ الشَّرِّ، فما جُعِل نَجْدُ الشر أَحَبَّ إليكم مِنْ نَجْدِ الخير». أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج١٠، ص٣٦٣.

(٣) الإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلي: ج١، ص٣٥.

الأشخاص مَن يكون بشوشاً خفيف الدم ـ كما قد يعبَّر عنه ـ وفي المقابل مَن يكون بطبيعته عبوساً ثقيل الظل.

ولكن هل هذا يعني أنَّنا أسارى لما نشأنا عليه من طباع، بحيث لا يمكننا تغيير واقعنا على صعيد سلوكياتنا وتعاملنا مع الآخرين؟

بالطبع كلا فكما أنَّ التفاوت بالذكاء لا يعني أنْ يتوقف الأقل ذكاءً عن التفكير وطلب العلم أو الطموح في أن يكون في مستوى التعليم أفضل ممن هو أذكى منه وكما أنَّ الضعف النسبي في البُنية الجسدية لا يمنع من أن يتمرن الأضعف ليكون بدرجة مَنْ هو أقوى منه بحسب ما وهِب في خِلقته فكذلك التفاوت في المزايا النفسية لا يكون حائلاً أمام السعي لتحصيل الأخلاق السامية وتقويم الشخص لأخلاقيات التعامل مع الآخرين وتنمية ملَكة حُسن الخُلُق لديه[1].

---

(١) وبهذا الصدد يمكن ملاحظة: الميداني، عبد الرحمن حسن جنبكة، الأخلاق الإسلامية وأُسسها: ص١٧٨. وجاد المولى بك، محمد أحمد، الخلق الكامل: ج١، ص٢٤.

الفصل الثاني

أهمّيّة التحلِّي بحُسْن الخلُق

الفصل الثاني: أهمّيّة التحلِّي بحُسْن الخلُق

الأخلاق هي تلك السجايا والصفات الباطنية التي تشتمل عليها نفس الإنسان[1]؛ ولهذا قيل: إنَّ الخُلُق ـ بضم الخاء واللام ـ هو الصورة الباطنية للإنسان، كما أنَّ الخَلْق ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ هو صورته الظاهرية[2]. ونحن نعلم أنَّ جوهر الإنسان والمقوِّم لإنسانيته هو تلك الصورة الباطنية؛ ولهذا نجد العقلاء يحرصون على تنمية ذواتهم وتنقية بواطنهم ولأجل ذلك ذكر القرآن الكريم أنَّ هناك ساترين للإنسان: أحدهما يستر ظاهره، والآخر يستر باطنه، وأنَّ الأهمَّ منهما هو الذي يستر باطنه والذي هو التقوى فقال عزَّ من قائل: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[3]. فأهمّيّة الأخلاق عموماً والحاجة إلى التحلِّي بها وتأثير ذلك على مستوى الأفراد والمجتمع لا تخفى على أحدٍ.

---

(١) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن: ج١، ص١٤.

(٢) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٠، ص٨٧. وأيضاً: المظاهري، حسين، دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية: ص٢٩.

(٣) الأعراف: آية٢٦.

ولا نبتعد عن الصواب إذا ما قلنا: إنَّ أهم تلك السجايا الأخلاقية هي حسن الخُلُق؛ لِما لها من مساس بالآخرين؛ باعتبارها تتمثَّل بأخلاقيات التعامل مع الناس ومعاشرتهم؛ فهي واجهة الشخص أمامهم، والقناة التي تعكس صورته الباطنية عندهم. والأهم من هذا أنَّها تمسُّ حقوق الغير وأيُّ إخلال يصدر من الشخص في هذا المجال هو يعبِّر عن تجاوز على حقٍّ من حقوق الغير، أو تقصيرٍ بإزاء ما ينبغي الالتزام به تجاه الغير عادةً.

وعلى العموم، فسيقع الكلام في هذا الفصل حول تلك الأهمّيّة لهذا الخُلُق المهم إن شاء الله تعالى، وفق النقاط التالية:

النقطة الأُولى: حُسْنُ الخُلُق حاجة مجتمعية ملحَّة

هَبْ أنَّك تُخيَّر بين العيش في بيئةٍ يسودها مبدأ التعامل الحسَن وتُغلَّب فيها الأخلاق الفاضلة على أن تلتزم أنت بذاك المبدأ أيضاً وبين أن تعيش في بيئة يسودها مبدأ القوَّة، ويُغَلَّب فيها طابع الاستئثار والتنافس على المكتسبات الشخصية، ومحاولة الحصول عليها بأي طريقة كانت فماذا ستختار؟ من الطبيعي أنَّك ـ وهكذا نحن جميعنا ـ ستختار العيش في تلك البيئة التي يَغْلبُ عليها طابع التعامل الحَسَن؛ فإنَّ الإنسان مهما كانت توجهاته أو نواياه فهو بالتالي يميل إلى الحياة الاجتماعية الهادئة والعيش المستقر ويميل إلى التعامل المبتني على الخلُق الحسن، إلا إذا كان شخصاً شاذّاً.

وهكذا لو افترضت نفسك راعياً لعائلة أو مديراً لدائرة أو مسؤولاً عن جمعية أو رئيساً لمنظمة فهل ستختار أن تبتني طريقة التعامل بين أفراد تلك الحلقات الاجتماعية التي في عهدتك على مبدأ حسن الخلق والتسامح أو أنَّك تريدها أنْ تكون كالغابة يسودها مبدأ القوة والشراسة مثلاً؟ من الواضح أنَّك ستفضِّل الخيار الأول؛ فإنَّه أوفق للطبيعة الاجتماعية التي جُبِل عليها الإنسان وأَكثر ضماناً لتنظيم العلاقات بين الرعية وتسيير الأمور في تلك الحلقات الاجتماعية والإدارية ولهذا قيل:

كلُّ الأمور تزول عنكَ وتنقضي ... إلا الثناءُ فإنَّه لك باقي

لو أنَّني خُيّرتُ كلَّ فضيلةٍ ... ما اخترتُ غير مكارم الأخلاقِ[1]

وفي الحقيقة فإنَّ إدراك هذا الأمر وإنْ كان بسيطاً وفي غاية الوضوح ـ كما ألمحنا ـ إلا أنَّه لا يخلو من الغموض في بعض نواحيه وجوانبه التي تتصل به؛ فإنَّ الإنسان وإنْ كان اجتماعياً بطبعه ممَّا يؤدي إلى ميله إلى اختيار البشاشة وسلوك سبُل السهولة في التعامل مع الآخرين والرفق بهم، إلى غير ذلك ممَّا يساعد على انتهاج سبيل حسن الخلُق وانتشاره بين أفراد المجتمع وفيما بين تكتُّلاته إلا أنَّ هناك ـ في المقابل ـ وازعاً يدفع نحو التأنِّي في هذا الجانب وعدم الاندفاع في الانفتاح على الآخرين وهو ما فُطِر عليه من حبٍّ لذاته وما تَبِعه

---

(١) البيتانِ لأبي جعفر القرشي. أُنظر: ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد، مكارم الأخلاق: ص٣٠.

ممَّا جُبِل عليه من الاجتهاد في حفظ تلك الذات والدفاع عنها من كلِّ ما قد يشكِّل خطراً عليها أو على كلِّ ما يخصُّها. فالاجتماع والاختلاط بالناس يفتح الأبواب أمام مخاطر ولوج الآخرين وتعدِّيهم على حقوق الفرد إمَّا لأجل المزاحمة بين المصالح أو لأجل جموح البعض نحو ظلم الآخرين ومحاولة الاستعلاء عليهم أو الانتقام منهم ونحو ذلك.

وكأنَّ الفيلسوف الفرنسي الشهير برتراند راسل استشعر هذه الحقيقة؛ ممَّا أدَّى به ذلك إلى مخالفة ما هو معروف من كون الإنسان اجتماعياً بالفطرة، فذهب إلى القول: بأنَّه ليس اجتماعياً تماماً وليس انفرادياً محضاً فلا هو كالنمل والنحل في خلوص الاجتماعية ولا هو كالنمور والأسود في تمحُّض الانفرادية بل هو شبه اجتماعي[1]. ولعله بالغ في مراعاة ما لاحظه من ابتعاد بعض الناس عن الاجتماعية في بعض الأحيان؛ بسبب ما أشرنا إليه من تزاحم بين مقتضيات الطبيعة الاجتماعية في الإنسان وبين مقتضيات غريزة حفظ الذات ومصالحها ودفع الضرر عنها، حتى وصل به الأمر إلى الذهاب إلى هذا الرأي فنحن نعترف بأنَّ الخالق زرع في كلِّ إنسان قوةً تأمره بفعل الخير واجتناب الشر، وهي ما ندعوها بالضمير ومع ذلك نجد كثيراً من أفراد الإنسان يخالفون ما يأمرهم به وينهاهم عنه ضميرهم؛ استجابةً منهم لبعض الشهوات والغرائز فتحصل مزاحمة بين مقتضيات هذه الشهوات والغرائز

---

(١) راسل، برتراند، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة: ص١٠.

وبين مقتضيات تعاليم ضميرهم وقد يقدِّمون ما تمليه عليهم الشهوات والغرائز. وهذا لا يشكِّل مبرراً لدعوى أنَّ الإنسان لا يملك ضميراً أصلاً أو أن يقال: هو في حالةٍ وسط بين أن يكون ذا ضمير بطبعه، وبين أن يكون شهوانياً ومتَّبعاً لغرائزه بطبعه وليس هو متمحِّضاً في هذا ولا خالصاً في ذاك كلا ليس هناك مجال لمثل هذه الدعوى؛ لأنَّه ليس هناك تنافٍ بين كون الإنسان ذا ضمير بطبعه وأصل خلقته وبين أن يكون فيه شهوات وغرائز قد تدعوه ـ إذا لم يهذبها ـ إلى مخالفة ضميره وهو ذو ضمير وذو شهوات وغرائز معاً بحسب طبعه وأصل خلقته وإنَّما التنافي هو على مستوى التطبيق وتفعيل إرادته واختياره. وهكذا الأمر في مسألة كون الإنسان اجتماعياً بطبعه وأنَّ فيه غريزة حفظ الذات ومراعاة مصالحها ودفع الضرر عنها؛ وعليه فالإنسان اجتماعي محض بطبعه وهو يسعى لحفظ ذاته ومراعاة ما يخصها بطبعه وأصل خلقته ولكن على مستوى الواقع الفعلي وعند ممارسته للحياة الاجتماعية فعلاً سيصادف كثيراً من الأمور التي تُشعره بالخطر على ما يعتقد أنَّه استحقاق له، فتدفعه غريزة الأنا إلى الاستحواذ على المزيد من المكتسبات ودفع ما يحتمل خطره على مستحقاته ومكتسباته فإذا ضعُفت إرادته وانقاد إلى رغباته لم يكن له همٌّ سوى إشباع تلك الرغبات والشهوات، ولو على حساب مخالفة القيم الأخلاقية والتعاليم الشرعية وكما ورد: «**طاعة الشّهوة تفسد الدّين**»[1].

---

(١) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣٤.

وعلى أية حال فما ذكرناه من حصول بعض الاضطراب في سلوكيات الإنسان بسبب التدافع بين غريزتي الاجتماع وحفظ الذات على المستوى الفعلي والتطبيقي قد يُعطينا تفسيراً ـ ولو بنحو جزئي ـ للسبب الذي يكمن وراء ابتعاد البشرية عن الأخلاق عموماً وعن التعامل بحُسْن الخلق خصوصاً كلَّما تطورت الحياة المدنية فبطبيعة الحال أنَّ تطور هذه الحياة يعقِّد طبيعة العلاقات الاجتماعية ويفتح مجالات التزاحم بين مصالح الأفراد أو التكتلات الاجتماعية؛ ممَّا يجعلنا نتعامل مع الآخرين بريبة وسوء ظنٍّ وربَّما انجرَّ بنا الأمر إلى الفَظاظة أو سوء الخُلُق من حيث نشعر أو لا نشعر.

ونظرة سريعة إلى أبرز ظاهرة مجتمعية في وقتنا الحاضر ـ وأعني بها: ظاهرة مواقع التواصل الاجتماعي الإلكترونية ـ ستؤكِّد ما ذكرناه حيث شاع فيها السِّباب والقذف وعدم التورّع عن التسقيط وإلصاق التهم والتهجُّم على الآخرين بسببٍ وبدون سبب ممَّا يعكس ما وصلنا إليه من انحطاطٍ في الأخلاق وانحرافٍ في القيم.

ولو كان الأمر مقصوراً على ميدان تلك المواقع لَهانَ بعض الأمر كيف ونرى تأثير تلك المواقع على واقعنا المُعاش بشكل واضح فصار لِما يُتداول فيها تأثير ملموس على الأفراد والعوائل والمجتمعات والشعوب ووصل الأمر إلى أَن تُشاع ثقافة كاملة وتُفرض ـ عِبر تلك المواقع ـ على شعب معيَّن

تؤدِّي بالتالي إلى قيام ثورة عارمة على نظام حكمٍ أو منظومةٍ قيميةٍ دينيةٍ أو أخلاقيةٍ أو عرفية.

والنقطة الجوهرية التي تمتاز بها هذه الظاهرة عمَّا سواها من ظواهر وأزمات واجهها المصلحون والمجتمعات تكمن في أنَّ مَنْ يريد خوض معركة الإصلاح فيها سيرى الطريق أمامه معبَّداً للدخول في غمار تلك الحرب ولكنَّه سيجد في نفس الوقت أنَّه سينجرُّ إلى أَنْ يواجه الخصم بنفس سلاحه فيضطر ـ لو أراد مجاراة الخصوم ـ إلى أَن يقابل السبَّ بسبٍّ والقذفَ بمثله وفي أفضل الأحوال سيجد نفسه في موضع الدفاع عن نفسه فلا يصل إلى مبتغاه من التأثير على الواقع المزري الذي آل إليه روَّاد تلك المواقع في العالم الافتراضي وبالتالي ما يتجسَّد من ذلك في عالمنا الواقعي وهذا عينُ الوقوع في المشكلة. ولأجل هذا يمكن نعتُ مثل هذهِ المعركة بالحرب القذرة.

فلا بدَّ لنا إذن من حلٍّ جذري يقتلع المشكلة من أساسها، ولا يُدخلنا غمار تلك الحرب القذرة. وخير وسيلة لذلك هو المحاولة في إشاعة المفاهيم الأخلاقية الفاضلة ونشر النماذج التطبيقية لتلك المفاهيم بلغةٍ مقنعةٍ، تنأى بنا عن التصادم مع الآخرين وتجسّد قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[1] وكما قال الشاعر:

---

(١) المؤمنون: آية٩٦.

وإذا بغـى بـاغٍ عليـك بجهلـه فاقتلـه بالمعـروف لا بـالمنكرِ
أحسِـن إليـه إذا أسـاء فـأنتما من ذي الجزاء بمسمعٍ وبمنظرِ[1].

وحينما نقول: إنَّ علينا نشرَ تلك الثقافة بلغةٍ مقنعةٍ ومقبولة. فنحن لا نقصد بذلك اللغة اللسانية فقط المتمثِّلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو إلقاء المواعظ والخطب والمحاضرات ونحو ذلك فإنَّ هذا كلَّه ـ وإنْ كان مهمّاً ـ إلا أنَّ هناك ما هو أهمُّ منه وهو إشاعة تلك الثقافة عمليّاً عبر إيجاد نماذج عملية تتجسَّد فيها الأخلاق الفاضلة؛ فإنَّ هذا من أقصر طرق الإصلاح وأنجع سبُل التغيير.

والسبيل لذلك هو إشاعة مظاهر حُسْن الخُلُق في المجتمع بشكل ملحوظٍ. وهذا الدور لا يقتصر على المصلحين ومَنْ نذَر نفسه لهذه السبيل كرجال الدين والمبلغين مثلاً وإنْ كان هو يبرز ويتأكَّد بلحاظهم بل هو دورٌ ينبغي أن يضطلع به كلُّ فرد من أفراد المجتمع؛ فمضافاً إلى وجوب ذلك شرعاً على كلِّ مكلَّف من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو يُعدُّ واجباً عقلائياً وأخلاقياً ينبغي تأديته من قِبل أفراد المجتمع؛ فإنَّه مع انهيار المنظومة الأخلاقية في المجتمع لنْ يكون الفرد وعائلته بمنأى عن العواقب الكارثية لذلك كما هو واضح.

---

(١) البيتان لابن الرومي. أُنظر: ابن الرومي، علي بن العباس، ديوان ابن الرومي: ج٢، ص٦٠.

وهذا المعنى هو ما نعنيه بقولنا: إنَّ حُسْن الخلُق هو ضرورة مجتمعية ملحَّة يقتضيها الواقع في كلِّ زمانٍ ومكان وأنَّه يتأكَّد ذلك بلحاظ واقعنا المعاش في الوقت الراهن.

النقطة الثانية: حُسنِ الخُلُقِ في الإسلام.. أهمّيّة قصوى

ويتجسَّد ما نبَّهنا عليه من أنَّ أفضل طرق نشر التعاليم والسلوكيات الأخلاقية هو في إيجاد النموذج التطبيقي الذي تتجسَّد فيه الأخلاق الفاضلة والسلوكيات الحسَنة في الشريعة الإسلامية بشكل واضح وجلي. فكان نبيُّ هذه الشريعة ورئيسها هو أفضلَ الناس جميعاً من حيث الخُلُق الرفيع حتى كان بروز هذا الجانب في شخصيته صلى الله عليه وآله لدرجة اقتضت أن يمدحه الله تعالى به بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أنَّه صلى الله عليه وآله كان ذات مرة يمشي وهو لابسٌ ثوباً له حاشيةٌ غليظة فجرَّه أعرابيٌّ من خلفه فجَرَت تلك الحاشية في عُنُقه وأثَّرت به وقال له: يا محمَّدُ، أَعْطِني عطائي. فما كانَ من رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أَنْ يقابل تلك الغلظة بما جُبِلت عليه طباعه الكريمة من سجايا طيّبة فأَقْبَلَ عليه متبسِّماً وأعطاه عَطاءه[2].

---

(١) القلم: آية٤.

(٢) الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب: ج١، ص١٣٣.

ويتضح مدى اهتمام الدين الحنيف بالأخلاق عموماً وبحُسن الخُلُق في التعامل مع الآخرين بالخصوص حينما نلاحظ سياق النصوص التي وردت في هذا المجال وكيف تمَّ التأكيد على الرفق بالآخرين والإحسان إليهم والتعامل معهم بخُلُقٍ رفيع حتى لو كانوا من المسيئين. وهي كثيرة جداً لا يسعنا إلا أَنْ ننتقي شيئاً يسيراً منها. والحديث سيكون على مستوى الآيات الكريمة أولاً ثمَّ على مستوى الروايات الشريفة ثانياً.

١ـ حسن الخلق في القرآن الكريم

تُعدُّ هداية الإنسان وتربيته من أسمى الأهداف التي اعتنى القرآن بشأن تحقيقها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] فالآيات الواردة في المجال التربوي والتوجيهي والتي يستفاد منها مدى أهمّيّة حسن الخُلُق والاتصاف به كثيرة لا يسعنا التعرض لها جميعاً ولكن ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جُلُّه ولهذا فسنستعرض بعضاً من تلك الآيات الشريفة:

١) قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[2].

---

(١) يونس: آية٥٧.

(٢) فصلت: آية٣٤ ـ ٣٥.

والمقصود من الحسَنة هنا ـ كما قيل ـ مداراةُ الناس والمقصود من السيّئة الغلظة في التعامل معهم. فيأمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريمﷺ بأنْ يرفق بالناس وأنْ يتعامل معهم بحُسن الأخلاق وأَنْ يقابل إساءة الغير بالإحسانِ فحتى الذي له عداوة معه يوصيه بأَنْ لا يقابله إلا بالرفق ومحاسن الأخلاق ولا يمنع سوءُ خُلُق المقابل من ذلك لدرجةٍ أنَّه تعالى يوصيهﷺ بأَنْ يجعل عدوَّه كأنَّه وليُّه الحميم أي: صديقه ونصيره الذي يودُّه[١] ثمَّ أخبر تعالى بعد ذلك بأنَّ هذا الخُلُق وهذه الصفة لا ينالها إلا مَنْ كان ذا نصيبٍ من الخير عظيم[٢].

وبالتأكيد فإنَّ هذه الوصايا لا تخصُّ النبيﷺ وكما روي فإنَّ القرآن نزل بطريقة إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارة[٣]. وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤].

٢) وفي نفس السياق يأتي قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٥]. وينبغي قبل كل شيء الالتفات إلى أنَّ هناك تقديماً

---

(١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص٤١١. وأيضاً: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٣٤.

(٢) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٩، ص١٢٥.

(٣) أُنر: الإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلي: ج٤، ص١١٥.

(٤) الأعراف: آية١٥٧.

(٥) المؤمنون: آية٩٦.

وتأخيراً في الآية الشريفة والأصل: ادْفَع السيّئَةَ بالتي هي أحسن يعني: ادفعها بما هو أحسنُ منها أي: ردَّها بالإحسان لا بسيئةٍ مثلها. ثمَّ بعد ذلك يقول: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يفترون به من الكذب الذي يستحقون عليه العقاب[1]. فلاحظ كيف هي تعاليم القرآن فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريمﷺ: نحن نعلم بأذاهم لك وافترائهم عليك، وأنَّهم يستحقون بذلك الانتقام والعذاب الأليم ولكن مع ذلك لا نأمرك بالصبر وعدم الردِّ عليهم فقط، بل نأمرك بأكثر من ذلك؛ إذ نريد منك أن تقابل إساءاتهم بالإحسان إليهم. وبالتأكيد سبب ذلك هو كون هذا الخلُق أوفق بنبيّه وحبيبهﷺ ولأنَّه أنفع في إنجاح الدعوة إلى الدين الحنيف والتأثير الإيجابي بالآخرين.

٣) وقال تعالى ـ عن لسانِ لقمان الحكيم في جملة ما أوصى به ولده ـ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[2].

وتشتمل الآيتانِ الشريفتان على وصايا بعدد من السلوكيات التي هي مظاهر للخُلُق السامي وهي:

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٧، ص٢٠٨.

(٢) لقمان: آية١٨ ـ ١٩.

أ. ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾. والمقصود: أنَّه لا تُعْرِض عن الناس بوجهكَ تكبُّراً[١]. وكما قال الفرزدق:

وَكنَّـا إذا الجبَّـارُ صـعَّر خَـدَّهُ ضربناهُ حتَّى تستقيمَ الأخـادعُ[٢].

ب. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾. أي: لا تمشِ مشيةَ المتكبِّر الذي تأخذه الخُيَلاءُ فيشتدُّ فرحه بتوهّم فضيلته على الناس؛ فإنَّ الله لا يُحبُّ المتكبرين[٣].

ج. ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ أي: كُنْ معتدلاً في مشيك.

د. ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي: اقصِر من صوتك واخفضه ولا ترفعه[٤].

فجاءت هذه الوصايا بعد قوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٥] وقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٦] فكانت هذه التوجيهات السلوكية من

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص٢٨٠.

(٢) الأخادع جمع أخدع: وهو أحد عِرْقينِ في جانب العنق. أُنظر: الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد، الأغاني: ج٢١، ص٢٠٠.

(٣) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص٢١٨.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٢١٩.

(٥) لقمان: آية١٣.

(٦) لقمان: آية١٧.

الأهمّيّة بمكان؛ بحيث تُقرن بالأمر بالتوحيد الذي هو أهمّ شيء في الوجود بلا شك، فهو الغاية من خلق الإنسان حتى قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] وبإقامة الصلاة التي هي من أهم أركان الدين، حتى ورد تشبيهها بأنَّها للدين كالعمود للخيمة، فإذا وقع انهارت الخيمة[٢] وبالأمر بالمعروف الذي هو أسمى الفرائض وأشرفها، وهو سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء[٣]. فمن هذا السياق ـ أعني: سياق ذكر ما هو أهمُّ الأركان التي يرتكز عليها الدين ـ نفهم مدى الأهمّيّة التي تتمتع بها الوصايا المرتبطة بالأخلاق الفاضلة والتي صُدِّرت بالنهي عن تصعير الخدّ، أي: الإعراض عن الناس تعالياً وتكبراً عليهم والذي هو من المصاديق المنافية لحسن الخلق محل حديثنا.

٤) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[٤] فقرَن الأمر بالإحسان للوالدينِ وحُسن الحديث مع الناس بأمره بالتوحيد

---

(١) الذاريات: آية٥٦.

(٢) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٢٦٦.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ج٥، ص٥٥.

(٤) البقرة: آية٨٣.

وقدَّمه على الأمر بالعبادات من الصلاة والزكاة إشعاراً بأهمّيّة هاتين السجيتين اللتين هما من المصاديق المهمة لحسن الخلق.

٢ـ حسن الخُلق في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

والروايات الواردة في بيان أهمّيّة التحلِّي بحُسْن الخلق والحثِّ عليه كثيرة نذكر عدداً منها:

أ ـ سئل النبي صلى الله عليه وآله: أيُّ الأَعْمالِ أَفْضَلُ؟ قال: «**حُسْنُ الخُلُقِ**»(١).

ب ـ وقال صلى الله عليه وآله: «**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**»(٢).

جـ ـ وقال صلى الله عليه وآله: «**أكثرُ ما تَلِجُ به أُمتي الجنة تقوى الله وحُسْنُ الخُلُقِ**»(٣).

ومن الواضح أنَّ المقصود: أنَّ الأشخاص الذين يتصفون بالتقوى وحُسْن الخلق هم أكثر ما يدخل الجنَّة.

د ـ ويروي لنا الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق**»(٤).

هـ ـ وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنَّه قال: «**إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(٥).

---

(١) الشعيري، تاج الدين محمد بن محمد، جامع الأحاديث: ص١٠٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٠.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٩٩.

(٥) المصدر السابق.

و ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رحالهم**»[١].

ز ـ والمقصود من الأكناف الجوانب و(الموطؤون) من التوطئة والتمهيد فيكون المقصود من «**الموطؤون أكنافاً**»: الذين جوانبهم وطيئة. وهذا مثَل يُضربُ لِمَنْ كان سهلاً دَمِثَ الأخلاق[٢].

ح ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذَر: «**أَلا أعلِّمكَ عملاً ثقيلاً في الميزانِ خفيفاً على اللسان؟ قال: بلى يا رسولَ الله قال: الصمت وحسنُ الخلُقِ وتركُ ما لا يعنيكَ**»[٣].

ط ـ وعن الصادق عليه السلام قال: «**إن الله تبارك وتعالى لَيعطِي العبد من الثوابِ على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يغدو عليه ويروح**»[٤]. ومقايسةُ الإمام عليه السلام حُسنَ الخُلُقِ بالمجاهدة في سبيل الله إنَّما هي لأجل وجود مناسبة له مع الجهاد من جهة أنَّ التحلِّي بحسن الخلق لا تتحقَّق من دون مجاهدةٍ للنفس، بحيث يكون للشخص نكرانٌ لذاته، وكبتٌ لرغباته، وقمعٌ لغضبه

---

(١) المصدر السابق: ص١٠٢.

(٢) أُنظر: ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٥، ص٢٠١. وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص١٩٨.

(٣) الحمداني، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورَّام): ج١، ص١٠٧.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠١.

وإلا فمن دون ذلك لا يتحقق شيء من مظاهر حسن الخلق، من لينٍ وتسامح وإحسان. ثمَّ إنَّه عليه السلام لم يكتفِ بجعل ثواب حُسن الخلُق كثواب الجهاد في سبيل الله، بل جعله كثواب الذي يتردَّد في الجهاد ويروح ويغدو عليه.

ي ـ وروى الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**ألا أخبركم بأشبهكم بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أحسنُكم خلقاً وألينكم كنفاً، وأبرُّكم بقرابته، وأشدكم حباً لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحقِّ، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً، وأشدكم من نفسه إنصافاً في الرضا والغضب**»(١).

ك ـ وورد عن الصادق عليه السلام أيضاً في بيان المقصود من الحسنة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾(٢) قال: «**رضوانُ الله والجنةُ في الآخرة والمعاشُ وحسنُ الخلق في الدنيا**»(٣). فانْظر كيف جُعِلت حسنة الدُّنيا التي تقابل حسنةَ الآخرة هي المَعاش وحُسن الخُلُقِ فالمعاشُ هو العنصر الضروري المادِّي فقرَنَ حُسْنَ الخُلُقِ به على اعتبار أنَّه العنصر المعنويّ الضروري الذي يستدعي أَنْ يكون مورداً لدعاء المؤمنين.

وقبل أَنْ نختم هذا الفصل لا بأس بنقل قصة يحكيها لنا زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فيذكر أنَّه نزل جبرئيل عليه السلام على

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٤١.

(٢) البقرة: آية٢٠١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٧١.

النبيﷺ فذكر له أنَّ هناك أشخاصاً ثلاثة حلفوا باللَّاتِ والعزَّى على أنْ يقتلوك فأخبرﷺ الناس بذلك، فأحجموا ولم يقولوا شيئاً فقالﷺ: ما أَحْسَبُ أنَّ علي بن أبي طالب فيكم فأخبروه بأنه مريض وحينما استدعوه وسمع ما أخبر به رسول اللهﷺ قالعليه السلام: أنا لهم سريةٌ وحدي. فخرجعليه السلام في طلبهم وغاب في ذلك ثلاثة أيَّامٍ فقلقوا عليه ولكنَّه بعد ذلك أقبل ومعه أسيران منهم فحكى لرسول اللهﷺ ما جرى معه، فذكرعليه السلام أنَّه قابل الثلاثة في بعض الوديان فسألوه مَن يكون فأجابهم بأنه عليُّ بنُ أبي طالب ابنُ عمِّ رسول الله فأجابوه بأنَّهم لا يعرفون أنَّ لله رسولاً، وبادره أحدهم ـ بمعنى أنَّه أراد قتل أمير المؤمنينعليه السلام ـ فصرَعهعليه السلام كعادته فلمَّا رأى الآخرانِ ما جرى لصاحبهما قالا له: بَلَغنا أنَّ محمَّداً رفيقٌ شفيقٌ رحيم، فاحملنا إليه ولا تعجل علينا وصاحبُنا ـ أي: الذي قُتل ـ كان يُعَدُّ بألف فارس.

ثم تذكر الرواية أنَّ جبرئيلعليه السلام أخبر رسول الله بأن الله عزَّ وجلَّ يأمره بأن يعفو عن أحدهما؛ لأنَّه حسن الخُلُق فلمَّا أخبر النبيﷺ بذلك وعلم الرجل المعنيّ بذلك قال للنبيﷺ: أهذا رسول ربِّك أخبرك؟ فأجابهﷺ: نعم. فأخبره بصدق ذلك وأنَّ من خُلُقه كيتَ وكيتَ ثمَّ أسلم فتشهَّد الشهادتين فقال رسول اللهﷺ آنذاك: هذا ممَّنْ جَرَّه حُسْنُ خُلُقهِ وسخاؤه إلى جناتِ النعيم(١).

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الخصال: ص٩٤.

فأُنظر معي ـ أيُّها القارئ الكريم ـ أيَّ قيمةٍ عند الله لحُسْنِ الخُلُق بحيث كافأ هذا الشخص على حُسنِ خُلُقه بالعفو عنه أولاً وبما هو أعظم من ذلك وهو الهداية إلى الإسلام واستحقاق الجنان ثانياً.

الفصل الثالث

حُسن الخُلُقِ... أهمّ المظاهر والمصاديق

الفصل الثالث: حُسن الخُلُقِ... أهمّ المظاهر والمصاديق

حُسن الخلُق يُطلق على معنى واسع فيشمل مظاهر ومصاديق كثيرة من الصفات والسلوكيات مما له علاقة بطريقة التعامل مع الآخرين والتعايش معهم.

ولكن لا ريب في أنَّ له بعض المظاهر المهمة والرئيسية بحيث يُعدُّ الاتصاف بها أمراً أساسياً لصحة وصفه بأنَّه حسَنُ الخُلُق لدرجة جعلت البعض يعرِّف حسنَ الخلُق بها من قبيل طلاقة الوجه ومداراة الآخرين وتحمل أذاهم ونحو ذلك[1].

ونحن هنا سيكون حديثنا عن بعض تلك المظاهر فنقتصر بالحديث عن أهمها:

١ـ طلاقة الوجه:

والمقصود من طلاقة الوجه هو أَن يكون الشخص بَشوشاً حَسَنَ اللقاء وليس عبوساً[2]. وهذه الصفة تُعبِّر عن طيبة الشخص وتواضعه عادةً؛ ولهذا

---

(١) أُنظر: الحمداني، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورَّام): ج١، ص٩١. وأيضاً: الفاضل الهندي، بهاء الدين محمد بن الحسن، كشف اللثام عن قواعد الأحكام: ج١١، ص٥٣٤.

(٢) هذا المعنى هو ما يستفاد من كلمات اللغويين، فأُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٦، ص٢٢٣. وأيضاً: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٦، ص٢٦٦. وأيضاً: الطريحي، الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين: ج٤، ص١٣٠.

تجد الناس تميل لمن يمتلكها وينفتحون معه في علاقاتهم، بخلاف ذلك الذي يكون عبوساً مكفهرَّ الوجه فإنَّه قد يُفهم من ذلك أنَّ وراء هذه الصفة قلباً غليظاً ونفساً منقبضة، ممَّا يسبّب ابتعاد الناس عن مثل ذلك الشخص وعدم اختلاطهم به.

وربَّما خُيِّل للبعض أنَّ الانبساط وبشاشة الوجه هي من صفات الإنسان البسيط الذي لا يمتلك شخصيةً قويَّة فتجده يجتهد في الانقباض ومقابلة الناس بوجهٍ مكفهرٍّ ويجِدُّ في وضع الموانع بينه وبين الآخرين. وهذا من الأوهام الخطيرة التي تؤدِّي بصاحبها إلى الوقوع في فخِّ العُجب بالنفس وامتطاء التكبُّر ويؤدِّي إلى تفرُّق الناس عنه كما ذكرنا.

ومن المفارقات التي ينقلها لنا التاريخ في هذا المجال ما ذكره بعضهم كحجَّةٍ تمسك بها لتوجيه دوره في إبعاد الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام، حينما ذُكر له اسم عليّ عليه السلام على أنَّه أحقُّ الناس بها؛ لقرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومصاهرته، وسابقته، وعلمه، وبلائه في الإسلام فأقرَّ بكلِّ ذلك إلا أنَّه قال: ولكنَّه رجل فيه دُعابة![1] وكأنَّ الليونة والبشاشة مما يُعاب عليه الرجل وربَّما

---

(١) أُنظر: النيسابوري الأزدي، الفضل بن شاذان، الإيضاح: ص١٦٤.

والدعابة: المزاح. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٣٧٦. وقد ورد في الحديث الشريف: «ما من مؤمن إلا وفيه دُعابة». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٦٣.

غاب عنه ما تشير إليه مخاطبة النبيﷺ بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(١).

ولأجل ذلك اهتمَّت الشريعة الغرَّاء بهذه السجية فقد روي أنَّ رجلاً جاء إلى النبيﷺ طالباً منه أنْ يوصيَه فقال لهﷺ: «**الْقَ أخاكَ بوجهٍ منبسط**»(٢). وورد في الحديث عنهمعليهم السلام: «**صنائعُ المعروفِ وحسنُ البِشرِ يكسِبانِ المحبَّة ويُدخلانِ الجنَّة والبخلُ وعُبوسُ الوجهِ يبعدانِ من الله ويدخلانِ النَّارَ**»(٣).

وورد أنَّ النبيﷺ كان يوصي بَني عبد المطلب بأن يواجهوا الناس بطلاقة الوجه وحسن البِشر ويبين لهم أنَّهم يكسبون الناس بذلك، لا بالوسائل المادية كالأموال مثلاً(٤). وهوﷺ يُشير بهذا إلى حقيقة وجدانية لها علاقة بمطلب يرتبط بالرياسة وقيادة المجتمع أو طائفة منه فالناس لا تهوى قلوبهم إلى مَن يُعرِضُ عنهم أو يستقبلهم بوجه مكفهرٍّ، ولا يمكن شراء قلوبهم بالأموال أو استمالتهم بالقوة ونحو ذلك. صحيح أنَّ كثيراً منهم قد يتملَّقون لصاحب السلطة أو المركز الإداري العالي، أو يتظاهرون بالميل له بالحبِّ والودّ خوفاً وتقيةً ولكنَّ قلوبهم تبقى نافرةً منه كارهةً إيَّاه؛ ولهذا كان

---

(١) آل عمران: آية١٥٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٣.

هذا الكلام موجَّهاً إلى بني عبد المطلب، على اعتبار أنَّ النبوة فيهم وأنظار الناس متوجهة إليهم فأرادﷺ تنبيههم وتذكيرهم بهذا الأمر الوجداني الذي أشار إليه أيضاً قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1]. وفي نفس السياق ورد عن أمير المؤمنينعليه السلام أنَّه قال: «**البشاشةُ حبالةُ المودَّةِ**»[2]. والحِبالةُ ـ بكسر الحاء ـ هي المصيدة[3] فيكون المعنى: أنَّ البَشاشة وطلاقة الوجه هو فخٌّ توقع به قلوب الآخرين وتصطادهم؛ ليقعوا في محبتك والتودُّد لك. وهناك مثَلٌ صيني يقول: إنَّ الذي لا يعرف كيف يبتسم لا يسعه أنْ يفتتح متجراً.

فما أجملَ أن يختار أحدنا لنفسه أن يكون ممن يستبشر الناس برؤيته ويُسرّون بملاقاته وما أقبح أن يكون بالعكس من ذلك؛ فيتشاءم الناس بمرآه، ولا يتمنون لقياه أو الحديث معه!

٢ـ إلقاء التحية:

فإنَّ إلقاء التحية يعبِّر عن تواضع الشخص وعدم غروره وأنَّه ذو نفسية سَمْحَة تُحِبُّ الآخرين وتتمنَّى لهم الخير. وهو من المظاهر المهمَّة لحُسْن الخُلُق وله الأثر العظيم في رفع الحُجُب بين أفراد المجتمع، بل يُعَدُّ باباً واسعاً يلِجُ

---

(١) الأنفال: آية٦٣.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٦٩.

(٣) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٢٣٦.

من خلاله شيوع المحبة بين الناس وتوطُّد العلاقات في ما بينهم مضافاً لِما تُضفي هذه الصفة على صاحبها من مقبوليةٍ لدى الناس، وما يظهر عليه عندهم من صورةٍ حسَنةٍ. ويُضاف إلى ذلك كلِّه ـ وهو سابق عليه ـ ما جعل الله سبحانه وتعالى لذلك من ثواب وجزاء وما أخبرت به الشريعة من أهمّيّة إشاعة السلام دنيوياً وأخروياً، حتى أنَّه ورد عن النبيصلى الله عليه وآله قوله: «**أوْلى الناسِ باللهِ وبِرسوله مَن بدأ بالسلام**»[١] وعن أمير المؤمنينعليه السلام: «**إن من العبادةِ لينَ الكلامِ وإفشاءَ السَّلامِ**»[٢].

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل حثَّ الإسلام على المصافحة بالأيدي والمعانقة بين الإخوان. وفي هذا الصدد ينقل لنا بعض مَن صاحبَ الإمام الباقرعليه السلام أنَّه كلَّما ركبوا أو نزلوا سلَّم عليه الإمامعليه السلام وكأنَّه لم يرَه من قبلُ مع أنهما كانا معاً فاستغرب الرجل وسأل الإمامعليه السلام عمَّا يصنعه فأجابهعليه السلام بقوله: «**أما علمت ما في المصافحة؟! إن المؤمنين يلتقيان، فيصافح أحدهما صاحبه، فلا تزال الذنوب تتحات[٣] عنهما كما يتحات الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتى يفترقا**»[٤]. و جاء في الحديث عن الصادقعليه السلام أنَّه قال: «**إن**

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٤٤.

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٥.

(٣) أي: تتساقط. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٢، ص٢٢.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٧٩.

المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفورا لكما فاستأنفا...»[١].

وبَعدَ كلِّ هذا كيف يتركُ المرءُ السلام على الآخرين، ويزهد بكل ما له من فوائد وآثار عظيمة، ويفوّت عليه الثواب الأخروي العظيم؛ فيسمح لبعض الأوهام تتلاعبُ في أفكاره ومخيَّلاته من قبيل أنَّ إفشاء الشخصِ السلامَ يؤدِّي إلى أنْ ينظر إليه الآخرون نظرةً دونيَّةً أو أنَّ السلام يجرُّ إلى فتح قنواتٍ للناس معه لا داعي لها أو أنَّه قد يفهم الآخرونَ أنَّ لديه مصلحةً وَغَرَضاً وراء إلقاءِ السلام، إلى غير ذلك مما يكون نابعاً من صفاتٍ قبيحة ينبغي للمرء ـ ولا سيما المؤمن ـ أنْ ينأى بنفسه عنها، كالكِبَرِ والبُخلِ والظنِّ بالسوء ونحو ذلك؟!!

وهل يمكن أن يكون هناك تحية أفضل من تحية الإسلام التي تشتمل على الدعاء بأن يشمل من تُلقى عليه التحية بالسلام وهي تحية الملائكة لأهل الجنة[٢]؟! ولو لم يجعل الله لإلقاء السلام ذلك الأجر العظيم ولم يكن إلا ما نلمسه من فوائد تنعكس على المجتمع لَكان ذلك كافياً لحثِّ أفراد المجتمع

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٨٤.

والمقصود من (استأنِفا)، أي: ابتدئا بالعمل من جديد من بعد ما غُفِر لكما.

(٢) قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾. الرعد: آية٢٣ ـ ٢٤.

على الالتزام به، والتأكيد على المساهمة في نشر مظاهره. ولنتخيَّل أنّ التحية الإسلامية لم نكن نعرفها ويصادف أنَّنا نجدها سارية في بعض المجتمعات الأخرى، فكم سننبهر بها؟! وكم سنُثني على ذلك المجتمع على التزامه بها[١]؟!

٣ـ السَّماحة والرفق بالناس:

ومن أهمِّ مظاهر حُسْنِ الخُلُقِ السماحَةُ بمعنى سِعَةِ صَدْر الشخص ورفقه بالناس. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]. وقد عرفتَ سابقاً أنَّ سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣] هو تلك الواقعة التي حصَلَتْ بينه وبين ذلك الأعرابي الذي جرَّه من ردائه، وكانَ الرداءُ ذا حاشيةٍ غليظة؛ فأثَّرتْ في عُنُقِهِ صلى الله عليه وآله فقال له الأعرابي حينما التفت إليه

---

(١) وهذا في الحقيقة يمثِّل تطبيقاً ومثالاً من أمثلة ظاهرة تنتشر في أوساط مجتمعاتنا الإسلامية، وهي ظاهرة النظر إلى كل ما عندنا بعين الانتقاد ومحاولة التحجيم والحطّ من كل شيءٍ يُنسب إلى تراثنا العقائدي أو الاجتماعي، وإلى ما عند غيرنا بعين الانبهار والإكبار، مع أنَّ الكثير مما عندنا من هذا التراث لو اطلع عليه أهل تلك المجتمعات أنفسهم لانبهروا به وحرصوا على الالتزام به، خصوصاً في الأمور المجتمعية والأسرية.

(٢) التوبة: آية١٢٨.

(٣) القلم: آية٤.

بِغُلْظة: يا محمَّدُ، أَعْطِني عطائي. فما كانَ منهﷺ إلا أَنْ يتَبسَّم ويُعطيه عَطاءهُ[١].

ويروي لنا الإمام الباقرعليه السلام أنَّه دخَلَ على النبيﷺ ثلاثة أشخاص من اليهود فدخلوا تِباعاً وكانَ سلامُ كلِّ واحدٍ منهم أَنْ قال: السَّام عليكم. والسَّام هو الموت[٢] وحينما سَمِعت عائشة بذلك غَضبَت وقالت لهم: عليكم السَّامُ والغضبُ واللعنةُ يا معشرَ اليهودِ يا إخوةَ القردةِ والخنازيرِ. فردَّها النبيُّﷺ ولم يرتضِ ذلك منها وقال لها: «... **يا عائشة، إن الفحش لو كان ممثَّلاً لكان مثال سوء، إن الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه، ولم يرفع عنه قط إلا شانه**»[٣]. فإذا كانت هذهِ سيرتَهُ مع مَنْ يُناوئه ويُسيء الأدب معه، فما في سيرته مع أهله وأقربائه وأصحابه؟! ويؤكِّد ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[٤] حيثُ يأمر الله نبيَّهﷺ بالصبر على ما يقوله الكافرون وأَنْ يبتعد عنهم من دون أَن يترك دعوتهم إلى الإسلام أو يترك معاشرتهم بأحسن الأخلاق فإنَّ الدعوة إذا كانت برفق وتلطُّف تجعلهم أقربَ إلى الإجابة[٥].

---

(١) الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب: ج١، ص١٣٣.

(٢) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص٣٢٠.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٤٨.

(٤) المزَّمل: آية١٠.

(٥) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠، ص١٦٥.

وإذا ما استثنينا الأسباب الغيبية من الحسابات، فإنَّ هذا الخُلُق هو من أهمِّ أسرار نجاح دعوة النبيصلى الله عليه وآله. ويُجسِّدُ الله تعالى هذهِ الحقيقة بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(١).

ومن الواضح أن تأكيد القرآن الكريم على ضرورة التحلِّي بهذا الخُلُق لا يختصُّ بالنبيصلى الله عليه وآله كما هو الحال في سائر الآيات التي نزلت بلسان مخاطبتهصلى الله عليه وآله عادةً بل في آيات أخرى وجِّه فيها الخطاب إلى سائر الناس لكي تحثُّهم على التحلِّي بالتسامح والتعامل مع الآخرين برِفْق، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤).

---

(١) آل عمران: آية١٥٩.

(٢) آل عمران: آية١٣٣ـ ١٣٤.

(٣) النُّور: آية٢٢.

(٤) التغابن: آية١٤.

وفي الحقيقة فإنَّ أفضلية تحمُّل المرء الآخرين ـ وأن يسعهم بسعةِ صدره وأَنْ يتعامل معهم بلطف ورفق وحُسْنَ الاتصاف بهذا وذاك ـ لا يحتاج إلى مثبتات والاستشهاد بالنصوص الشرعية فالوجدانُ خيرُ شاهدٍ على أنَّ مَنْ يتصف بهاتينِ الصفتينِ يعيش حالةً نفسية مستقرَّةً ويشعر بثقةٍ عالية بنفسه وفي نفس الوقت يَلقى مقبوليةً لدى الناس وسينال احترامهم وتقديرهم بكلِّ تأكيد.

وممَّا يُحقِّق الأسف ويُثير الأسى ما نجده من غلظةٍ في القلوب، ونَلْمسُه من خشونة في التعامُلِ مع الآخرين في المجتمع في وقتنا الراهن على جميع المستويات سواء كان ذلك داخل البيت وبين أفراد العائلة الواحدة؛ إذ تجدُ الفظاظة في التعامل بين الزوجينِ والشدَّةَ في تعاملهما مع أولادهما أم كان في الشارع ومحلِّ العمَل؛ حيث نرى غيابَ المجاملات واحترام مشاعر الآخرين بل وصلَ الأمر إلى التفاخر بالجَفاءِ والابتعاد عن اللينِ في التعامُلِ والرِّفق بالناس.

واستشرى الجفاء والتعامُلُ بفظاظة ليشمل بعضَ الدعاة للدِّين وشريحةً من المسلمين، ليكون دَيدَنُهم مهاجمة الآخرين الذين لا يتوافقون معهم في الرأي أو المعتقد ويُصبح لا همَّ لهم إلا تخطئة الآخرين ولو دخلتَ في نقاشٍ مع أحدهم أتعبتك مناوشاتُه وآذتك مداخلاتُه وكأنَّهم عازمون على مخالفة سيرة النبيﷺ ومصرُّون على الإعراض عن تعاليم القرآن الكريم وتوصيته بالعفو والصفح والمقابلة للسيئة ـ فضلاً عن الحسنة ـ بالإحسان ومتناسونَ

لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١).

٤ـ الإنصاف والعدل:

والإنصاف يتحقق بإعطاء الآخر النصف بينما العَدْل قد يتحقَّق بهذا وقد يتحقق بغيره(٢). فلو كان عندك ولدانِ أحدهما لديه عمَلٌ يسدُّ بمردوده حاجته والآخر لا عمَلَ له ولا مال ولنفترض أنَّه متزوج ولديه أطفال فإذا قسَّمتَ مبلغاً بينهما بالتساوي وكان ذلك لا يسدُّ حاجة من لديه الأطفال فهنا يكون قد تحقَّق الإنصاف، ولكن لم يتحقَّق العدل بخلاف ما لو أعطيتَ صاحب الأطفال ما يسدُّ حاجته وكان ذلك يعادل ثلاثة أرباع المبلغ مثلاً فهنا يتحقَّق العدل دون الإنصاف.

هذا في اللغة ولكن حينما يُذكر العدل والإنصاف كخُلُق في باب أسلوب التعامل مع الآخرين فيراد بهما عادة معنى واحد؛ ولهذا تجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يفسِّرُ العدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾(٣) بالإنصاف(٤).

---

(١) النحل: آية١٢٥.

(٢) أُنظر: العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية: ص٨٠.

(٣) النحل: آية٩٠.

(٤) خطب نهج البلاغة: ص٥٠٩.

والمراد من الإنصاف هنا هو أَنْ يتعامل الشخص مع غيره ويُعطيه من الحقّ مثل ما يُحب هو أنْ يعامله به الآخرون، سواءٌ كان ذلك في الأمور المادية أم المعنوية. ويتجلَّى هذا المعنى في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن الله يحبُّ المرءَ المُسلِمَ الذي يحبُّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسهِ، ويكرهُ له ما يكرهُ لنفسهِ**»(١). وهذا الحديث في الحقيقة يُعطينا الميزان الذي ينبغي أنْ نجعله معياراً لأفعالنا وسلوكياتنا تجاه الآخرين وهو ميزانٌ سهل الاستخدام؛ لأنَّه يُرجعُنا إلى وجداننا فمسألة الاطلاع على ما أُحبُّه وما لا أُحِبُّه لا تحتاج إلى غير الالتفات إلى نفسي وملاحظة وجداني فإذا كنتُ أُحبُّ أنْ يعاملني الآخرون بتواضعٍ واحترامٍ ورفقٍ وصدقٍ وإخلاصٍ ونحو ذلك، فهذا يعني أنَّ الآخرين يُريدون منِّي أنْ أُعاملهم بمثل ذلك وإذا وجدتُ في نفسي أنِّي أكره أَن يُقابلني الناس بتكبُّرٍ واحتقار وقسوةٍ وافتراءٍ وخداعٍ ونحو ذلك علِمتُ أنَّ الآخرينَ لا يُريدونني أنْ أُعاملهم بمثل ذلك فإنْ سرتُ على وفق هذا المعيار فذلك هو الإنصاف وإنْ لم أفعل ذلك وقابلتهم بما لا أُحبُّه لنفسي، فذلك هو الإجحاف والتعسُّف.

ولأجل هذا وصف الإنصاف في أحاديث أهل البيت عليهم السلام بأنَّه سيدُ الأعمالِ(٢)؛ فإنَّك إذا عاملتَ الناس على وفق ما تُحِبُّ أنت أنْ يعاملوكَ هم به فذلك يعني أنْ لا يصدر منك إلا ما كان وفق ما تقتضيه الأخلاق الفاضلة

---

(١) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن: ج١، ص١٠.

(٢) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٤٤، وص١٤٥.

والسجايا الصالحة فهو بالتالي وبالتطبيق العملي جامع لمكارم الأخلاق؛ ولأجل هذا، فحينما جاء أعرابي للنبيﷺ وهو بصدد الخروج لبعض غزواته، فاعترض طريقه وطلب منه أن يعلِّمه عملاً يدخل به الجنة قال لهﷺ: «**ما أحببتَ أن يأتيه الناس إليك فأتهِ إليهم وما كرهتَ أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم**» ثمَّ قال له: «**خلِّ سبيل الراحلة**»[١] وكأنَّهﷺ يريد أن يقول له: قد أعطيتك ما تريد، فعلَّمتُك فعلاً واحداً جامعاً لجميع مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال التي توجب بالتالي دخول الجنة من دون شك.

وعلى أية حال فقد ورد التأكيد على هذا الخُلُقِ في أحاديث أهل البيتعليهم السلام كثيراً فقد روى الإمام زين العابدينَعليه السلام عن رسول اللهﷺ أنَّه كان يقول في آخر خطبته: «**طُوبى لمنْ طَابَ خُلُقُه وطهُرتْ سجيَّتُه وصلُحت سريرَتُه وحسُنت علانيتُه وأنفقَ الفضلَ من ماله وأمسكَ الفضلَ من قولهِ وأنصفَ النَّاسَ من نفسهِ**»[٢]. وروى الباقرعليه السلام عن أمير المؤمنينعليه السلام أنَّه قال: «**ألا إنه مَن ينصفُ الناس من نفسهِ لم يزده الله إلا عزّاً**»[٣] بل ورد عن الصادقعليه السلام أنَّ أشدَّ ما فرض الله على العبد ثلاثة أمور: أولُها إنصاف الناس من نفسه...[٤].

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤)أُنظر: المصدر السابق: ص٤٥.

والحديث الأخير يُشير إلى مرتبة عالية من الإنصاف وهي أنْ تُنصفَ الناس من نفسك بمعنى أنْ تُعطي الحقَّ لغيرك، وإنْ كان فيه إدانة لكَ. وهذا في الحقيقة خُلُق لا يقدر عليه إلا النبلاء ومَنْ حَباهم الخالق بشخصية قويَّة ورزقهم ثقة عالية بالنفس. وتتأكَّد الحاجة إلى هذهِ السجية والاتصاف بهذا الخُلُق الرفيع في مجالات السياسة والإدارة والقيادة والسجالات العلمية كما هو واضح فما أجملَ أن يلوي القائد أو المدير أو المتعلِّمُ عنقه ويأخذ بزمام نفسه الأمَّارة، فيُنصف مَنْ هو دونه أو نظيرٌ له من نفسه فيعترف بخطأ رأيه ـ مثلاً ـ وصحة رأي الآخر أو يُعطي الحقَّ للآخر مع استلزامه إدانة نفسه أو تغريمها!!

حينما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بلالاً أن يجمع الناس فخرج عليهم متعصِّباً بعمامته متوكِّئاً على قوسه، فصعد المنبر وخطب بهم، ثمَّ طلب منهم أنْ يقتصَّ منه كلُّ واحدٍ كانت له مَظْلَمةٌ عنده صلى الله عليه وآله فقام إليه رجلٌ يُدعى سوادة بن قيس، فقال له: فداكَ أبي وأمي يا رسولَ الله! إنك لمَّا أقبلتَ من الطائف استقبلتُكَ وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق[1]، فرفعتَ القضيبَ وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأً فقال له الرسول صلى الله عليه وآله: معاذ الله أن أكون تعمدت. وبعثَ بلالاً ليأتيَه بذلك القضيب من بيت فاطمة عليها السلام فلمَّا جيء به استدعى سوادة وقال له: اقْتَصّ

---

(١) وهو اسم القضيب الذي كان للنبي صلى الله عليه وآله، ومعنى الممشوق: الطويل. أُنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٥، ٢٣٦. وأيضاً: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٥، ص٤٨.

منِّي حتى ترضى. فطلب منه سوادة أنْ يكشف عن بطنه ففَعلﷺ فأخذ سوادة بتقبيلها وهو يقول: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار. فلم يدعهُ رسول اللهﷺ حتى سأله: يا سوادة بن قيس، أتعفو أم تقتصُّ؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله. فقالﷺ : اللهم اعفُ عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيِّكَ محمدٍ(١).

فأيُّ خُلُقٍ هذا الذي يحمله رسول اللهﷺ وهل يتصور القارئ الكريم أنَّ أحداً من القادة أو الزعماء يمكن أنْ يصنع مثل ذلك ولو تصنُّعاً ورياءً؟! وكيف يمكنه التغلُّب على غروره وكِبَره ليستدعي أحداً من رعيته ليقتصَّ منه بهذه الطريقة؟! إنَّه بهذا الخُلُق ونحوه استحقَّ أن يكون خيرَ خَلْقِ الله، حتى وصَفه اللهُ سبحانه بأنَّه ﴿... لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

زانتكَ في الخُلُقِ العظيمِ شمائلٌ يُغرى بهنَ ويولَعُ الكُرُمَاءُ(٣).

ومن الأمور التي تعاني منها المجتمعات في وقتنا الحاضر عدم الإنصاف في مجال المحاورات والمناقشات الفكرية والثقافية والدينية والسياسية ونحو ذلك ولأهمّيّة هذا المورد لا بد من أن نخصِّص بعضاً من الكلام حوله وليكن كلامنا في ذلك ضمن نقاط:

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي: ص٦٣٦.

(٢) القلم: آية٤.

(٣) من قصيدة لأحمد شوقي في مدح النبيﷺ، أُنظر: شوقي، أحمد، ديوان الشوقيات: ج١، ص٤٢.

١) ينبغي للشخص الذي يتعرَّض لرأي غيره من الأشخاص أو الجهات قبل أن يشرع بمناقشته أن يستعرض ذلك الرأي بأحسن ما يمكن من طرق الشرح والتوضيح، وأن يحاول أن يدعمه بما أمكن من الحجج وإذا كان هناك أكثر من احتمال في المراد من الرأي المطروح فينبغي حمله على أفضل الوجوه المحتملة ثمَّ بعد ذلك يشرع بالمناقشة أو الرد. إلا أننا نرى البعض على العكس من ذلك؛ إذ يجتهد في تدليس بعض الحقائق وإخفائها ويحاول تسخيف الرأي الآخر وعرضه بطريقة متهرئة من الأساس بل نرى البعض للأسف يستعين بالافتراء والأكاذيب في نقل وتوضيح الرأي الآخر في سبيل التمهيد لردِّه بما يريد.

٢) ومن الإنصاف أن تُبدي للطرف الآخر اعترافك بصواب رأيه أو بخطئك إن كان الواقع هو كذلك. وليس من الصحيح العناد واللجاج على حساب إثبات الحق والوصول إلى الحقيقة.

٣) ومن الإنصاف إفساح المجال للطرف الآخر في أن يُبدي رأيه أو يدافع عنه ويفكر في ما يلاحظ عليه بهدوء ورويَّة، وعدم مزاحمته أو التشويش عليه أو الإكثار من مقاطعته ونحو ذلك.

٤) ومن المظاهر الحضارية التي تكاد مجتمعاتنا تفتقدها اليوم هو المحافظة على مقتضيات اللياقة ومراعاة الآداب العامة في المحاورات، من احترام المقابل، واحترام رأيه وعدم تسفيه آرائه أو المحاولة في الحطّ من شخصه أو النيل من كرامته. وفي الحقيقة فإنَّ الاستعانة بمثل هذه الأساليب

الرخيصة يعبر عن ضعف في شخصية صاحبها وعدم ثقته بنفسه أو بآرائه التي يطرحها فينبغي تركها وإنصاف الطرف الآخر مهما كنَّا نختلف معه، وإعطاؤه ما يستحقه كإنسان، من احترام لشخصه وتقدير لآرائه وأفكاره، وكما قيل؛ فإنَّ الاختلاف في الرأي لا يفسد للودِّ قضية.

٥) ومن الإنصاف للحق والحقيقة أن يتم تناول المواضيع العلمية ـ أو التأمل في القضايا الفكرية أو تناول الأمور الدينية أو السياسية أو الاجتماعية ـ بموضوعية وبعيداً عن المؤثرات الداخلية، كالتعاطف مع جهة معينة، أو الاقتناع المسبق بفكرة محددة، أو الشعور بأنَّ الرأي الآخر يضر بمصالح الشخص ونحو ذلك أو الخارجية كمحاولة إرضاء الجمهور، أو مجاملة جهة أو شخص معين ونحو ذلك.

٦) لا بد من إنصاف المتابعين والمتلقين للكلام، وإن لم يكونوا طرفاً في النقاش أو المحاورة، كما في البرامج التلفزيونية مثلاً فلا بد لطرفي النقاش من مراعاة المتلقين وأخذ مدى تأثير النقاش على المشاهدين أو المستمعين بنظر الاعتبار.

٥ـ مواساة الإخوان:

بمعنى إعانتهم ومساعدتهم والوقوف معهم في الشدائد والسعي في قضاء حوائجهم. وقد حثَّت الشريعة على ذلك، وأكدت على ضرورة التخلُّق بذلك، حتى ورد أنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمنين[١] وأنَّ

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٨٩.

قضاء حاجةٍ واحدة لمؤمن أحبُّ إلى الله من عشرينَ حجةً[١] وأنَّ مَنْ يُدْخل السرور على المؤمن يُبيح الله له الجنة[٢].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قالَ: «**لا يرى أحدكُم إذا أدخل على مؤمنٍ سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله** صلى الله عليه وآله»[٣].

وهذا السلوك المثالي إنَّما هو تجسيد لسجايا حسنةٍ نابعةٍ من قلبٍ طيِّبٍ وذاتٍ أصيلةٍ وإلى هذا يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**إنَّ مواساةَ الرِّفاقِ من كرمِ الأعراقِ**»[٤]. فإذا وجد شخصٌ في نفسه ميلاً نحو مواساة الآخرين وهِمَّة مساعدتهم فليشكر اللهَ كثيراً على توفيقه لذلك.

وتتأكد الحاجة إلى المواساة في بعض الحالات الخاصة كما لو مرَّ بعض معارف الشخص من أرحامه أو أصدقائه أو جيرانه بظروف مادية ومعيشية صعبة مثلاً وقد جاء في الحديث: أنَّ أخاكَ هو مَن يواسيكَ في الشدَّة[٥] وأنَّ خيرَ إخوانِكَ مَن يُواسيكَ بخيره. بمعنى أنَّه يصِلك ويساعدك بما عنده من خير خصَّه الله به وأنَّ خيراً من ذلك هو مَن أغناكَ عن غيره فلا يُبقي لكَ حاجة لا يسدُّها، بحيث تحتاج إلى غيره[٦].

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٩٣.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١٨٩.

(٣) أُنظر: المصدر السابق.

(٤) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٤، ص٣٥٢٨.

(٥) أُنظر: المصدر السابق.

(٦) أُنظر: المصدر السابق.

روي أنَّ زين العابدين عليه السلام سمع شخصاً يدعو اللهَ فيقول: «**اللهم أغنني عن خلقكَ**» فقال له عليه السلام: «**ليس هكذا: إنَّما الناسُ بالناسِ. ولكن قُل: اللهم أغنني عن شرارِ خلقك**»(١). فحاجةُ بعضنا لبعض يفرضها الواقع وطبيعة البشر المجبولين على الاجتماع. ومسألة الاحتياج إلى الغير قضية حتمية. وليس من المعقول أنْ يأخذ الإنسان احتياجاته من الآخرين ولا يقبل بمساعدت لهم؛ فإنَّ هذا ـ بالإضافة إلى كونه خلاف المروءة ـ يؤدِّي إلى ابتعاد الناس عنه والنظر إليه بعينِ الريبة والتشكيك فقلوب الناس لا تميل إلى منْ يُستراب منه:

أحسِن إلى الناس تستعبِد قلوبَهم فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ(٢).

وتتأكد الحاجة إلى مواساة الإخوان ومساعدة الآخرين في أولئك الذين يتصدُّون إلى العمل السياسي أو يتسنمون مناصب إدارية. فعلى مَن يتصدَّى لمثل تلك المناصب أنْ ينظر إلى ذلك على أنَّه ابتلاء واختبار عمليٌّ من الله جلَّ وعلا وليشفق ممَّا هو فيه وليتفكَّر في أمره، وليعلم أنَّ المنصب لا يدوم وأنَّ الناس ـ والله من ورائهم ـ ينظرون إليه بمنظار التدقيق والتمحيص بل ينبغي

---

(١) الحراني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول: ص٢٧٨.

(٢) بيت من قصيدة مشهورة للشاعر أبي الفتح البستي المتوفَّى سنة ٤٠٠هـ، ومطلع القصيدة:

زيادةُ المرءِ في دنياه نُقصانُ وربحُه غير محض الخيرِ خُسرانُ

أُنظر: السبتي، أبو الفتح، ديوان أبي الفتح البُستي: ص١٨٦.

له أَنْ يرى تسنّمَه المنصبَ فرصةً لخدمة الناس وقضاء حاجاتهم، ومن دون خيانة للأمانة وخرق للقانون وقواعد وظيفته بالطبع.

بل ورد أنَّ شرط جواز العمل في الحكومات الظالمة ـ كما لو اضُطر إليه أو أُكره عليه ـ أَنْ لا يتوانى في مساعدة إخوانه المؤمنين[١]. يروي أحدُهم ـ وهو من سجستان ـ يقول: إنَّه حج مع إمامنا الجواد عليه السلام في زمن المعتصم العباسي وفي بعض جلسات الطعام ذكر للإمام عليه السلام أنَّ الوالي عندهم في سجستان هو من شيعة أهل البيت عليهم السلام وطلبَ منه أنْ يكتب له كتاباً يوصيه به فكتب عليه السلام له كتاباً وحينما عاد إلى أهله كان الخبر قد سبقه إلى الوالي فخرج لاستقباله ولقيه قبل فرسخين وحينما سلَّمه الكتاب أَخَذه الوالي فقبَّله ووضعه على عينيه وقال للرجل: ما حاجتُكَ؟ فذكر له أنَّ عليه من الخراج كذا من المال. فعفاه منه وممَّا يكون عليه في المستقبل ولم يكتفِ بهذا، بل راح يسأل الرجلَ عن عياله وحاجاتهم فبقي يصلهم ويسد حاجتهم إلى أنْ مات[٢].

فانظر إلى هذا الرجل الصالح ـ أعني: والي سجستان[٣] ـ كيف حرص على اغتنام الفرصة بأفضل ما يُمكنه ووفِّق لذلك، فخُلِّد اسمه في التاريخ بحروف من ذهب وله عند الله وأوليائه الحَبوة في الآخرة بكلِّ تأكيد.

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص١٠٩، باب مَنْ أُذن له في أعمالهم.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١١١.

(٣) والرواية المشار إليها تذكر أنَّ اسمه الحسين بن عبد الله النيسابوري.

ونوجِّـه كلامنـا هنـا إلى كـلِّ مَـنْ يتسنَّم منصـباً وظيفياً في عصورنا الحاضرة ـ وإنْ كان بسيطاً ـ فنقول له: هل ترى أنَّ كتاب الإمام الجوادعليه السلام موجَّهاً لخصوص ذلك الوالي. ارجع إلى وجدانك فإنَّه يُصْدِقُك وأُنظر ألا ترى أنَّه موجَّه لكلِّ مَنْ تعرض له فرصة خدمة المؤمنين؟ فإذا كان الأمر كذلك فاعرض سيرتك في هذا المجال على ما صنعه ذلك الوالي بكتاب الإمامعليه السلام، وكيف تصرف تجاه مضمونه أهكذا نُنصف أنفسنا بأنْ نرضى أن يقال عنَّا: شيعة أهل البيتعليهم السلام ونحنُ نسير بعيداً عن تعاليمهم ووصاياهم لنا ألا نخجل من ساداتنا حينما نزعم مودَّتهم ونحن مُعْرِضُونَ عمَّن أوصونا بهم وأكَّدوا علينا بمداراتهم ومساعدتهم من أوليائهم ومحبِّيهم؟!

وأخيراً نقول: ليكن شعارنا جميعاً ما جاء في الحديث القدسي: «**الخلقُ عيالِي فأحبُّهُمْ إليَّ ألطفهم بهمْ وأسعاهُم في حوائجهم**»[١].

٦ـ الحياء:

وهو خُلُق يدعو إلى انقباض النفس عن أشياء، فيمتنع الشخص عن فعلها حذراً من أنْ يُلام عليها لو فعلها[٢]. فهو يحمل على ترك كل قبيح ويدعو إلى فعل كلِّ جميل؛ ولأجل هذا فهو يُعدُّ نظير الإنصاف الذي عُبِّر عنه

---

(١) المصدر السابق: ج٢، ص١٩٩.

(٢) أُنظر: الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات: ص٨٣.

في الروايات بأنه سيِّدُ الأعمال كما عرفتَ فكلاهما يدعوانِ إلى التحلِّي بكلِّ جميلٍ من الأخلاق ويُبعدانِ عن كلِّ ما هو قبيحٍ منها مع فارق وهو أنَّ الإنصاف لوحظ فيه ذلك بلحاظ سلوك الشخص مع الآخرين، فإنَّه يدعوه إلى أَن يعاملهم بما يُحبُّ هو أنْ يعامله الآخرون به بينما الحياء لوحظ فيه حاله مع الفعل وأنَّه ممَّا ينبغي أَنْ يُحتشم عنه، سواء كان ذلك الفعل تصرفاً يرتبط بالآخرين، كما في الجلوس معهم بطريقةٍ تخالف الذوق وأعراف المجالس المحترمة، كمدِّ الرِجل تجاه الجالسين مثلاً، إذ يعد فعلا مستهجنا لدى بعض المجتمعات أم لم يرتبط بذلك كما في لبس الملابس غير اللائقة به.

ثمَّ إنَّ للحياء ـ بما هو خُلق واقع وسجية متحققة في الخارج ـ جانبين يمكن ملاحظتهما أحدهما ما يكون في الشخص في حدِّ نفسه، وبمعزل عن وجود أشخاص آخرين أو تأثيرهم عليه أو تأثرهم به فتجد هناك مَن يغضّ النظر عن الصور الفاضحة حياءً وهناك مَنْ لا ينطق كلاماً فاحشاً ولو في خلواته ومن دون أنْ يُسمع أحداً وهناك مَنْ يمنعه الحياء استراق السمع والإعراض عمَّا لا يعنيه، وإنْ لم يُلتفت إليه من قبل أي أحد وثانيهما ما يكون له مَساس بالآخرين وتأثر وتأثير بهم كانكفاء المرأة بمحضر الرجال وتسترها وعدم مزاحمتهم حياءً منهم وامتناع الصغير عن مزاحمة الكبار ومقاطعتهم في كلامهم وترك التلميذ اللجاج والتزامه بالهدوء حياءً من أستاذه وترك الشخص ما يخدش الذوق العام، كالصياح في الأماكن العامة، أو الركض في الأسواق، أو لبس الثياب غير المناسبة مثلاً. وهذا ونحوه هو المعني هنا

بالكلام، باعتباره يمثل لوناً من ألوان التعامل مع الآخرين فيندرج في حسن الخلق بالمعنى الأخص الذي هو محل حديثنا.

وعلى العموم، فالحياءُ زينةٌ للمرء ومن متمِّمات الإيمان[١] وهو حجابٌ وسترٌ من الموبقات جعله الله في العباد يحجبهم عمَّا هو قبيح. وصدَق الشاعر إذ قال:

رُبَّ قبيحةٍ ما حالَ بيني ... وبينَ ركوبها إلا الحياءُ
فكانَ هو الدَّواءَ لها ولكن ... إذا ذهبَ الحياءُ فلا دواءُ[٢].

ولهذا جاء في الحديث عن النبي الأكرمﷺ: «**الإسلام عريان، فلباسه الحياء...**»[٣]. فما فائدة أن يلتزم المرءُ بأحكام الإسلام الظاهرية ـ كالصلاة والصوم والحج والجهاد ـ وهو لا حياء له يمنعه عن فعل القبائح.

يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقى الودُّ ما بقي اللِّحاءُ[٤].
فلا والله ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ما ذهبَ الحياءُ[٥].

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٦٥ . وأيضاً: الإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلي: ج١، ص١٢٩.

(٢) أُنظر: النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ٤٦١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤٦.

(٤) اللحاء: القشرة التي على العصا. أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٢٩٧.

(٥) البيتانِ من قصيدةِ هجاء لأبي تمام يقول في صدرها:
إذا جاريتَ في خُلُقٍ دنيئاً ... فأنت ومَن تُجاريهِ سواءُ
أُنظر: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ج٤، ص٢٩٧.

وهو بالإضافةِ إلى كونه خُلُقاً كريماً يزين صاحبه قد ورد أنَّه يُثابُ عليه المرءُ ويكون كفَّارةً عن ذنوبه فقد روي عن النبيﷺ أنَّه قال: «**أربع مَن كن فيه كمل إسلامه ولو كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم تنقصه : الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر**»[١].

وكثيراً ما يشتبه الأمر بين الحياء والخجل لتشابه أعراضهما في النفس وآثارهما على الوجه والبدن بينما الخجل قد يمنع من ارتكاب ما هو جميل ومطلوب، كما في ترك المرأة السؤال عن أحكام الحيض مثلاً أو عدم تصدي الشاب لبعض المهن والأعمال مع حاجته للعمل وقد عرفتَ أنَّ الحياء يدعو إلى فعل الجميل وترك القبيح[٢]، ولا شك في أن تعلم الأحكام من الأفعال الجميلة، كما أن العمل في المهن التي تلبي حاجة الشخص والمجتمع من الأفعال الجميلة أيضاً. وقد ورد في الحديث عن النبيﷺ في هذا المعنى: «**الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل، هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل**»[٣]. وبهذا تبرز الحاجة إلى تربية أولادنا على الحياء وتنمية هذه النعمة الربانية عندهم مع مراعاة توعيتهم والموازنة بين الأمور بدقَّة، فكما يلزم أنْ لا نفرِّط فنساهم في ارتفاع حشمة الحياء عندهم فكذلك ينبغي أنْ

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٥٧.

(٢) أُنظر: المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج٨، ص٣١٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٦.

لا نبالغ ونخلط الأوراق عندهم فنجعلهم خجولينَ لدرجةٍ تجعلهم يلاقون صعوباتٍ في حياتهم، ويضيّعون بعضاً من حقوقهم ويقصِّرون في بعض واجباتهم.

وتتأكَّد الحاجة إلى ذلك بلحاظ البنات فالحياء من أهمِّ صفات المرأة الفاضلة التي تُعدُّ اللبنة الأساسية لبناء الأسرة الصالحة، وبالتالي بناء المجتمع بناءً صحيحاً وقد جاء في الحديث: «**خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء، وإذا لبست لبست معه درع الحياء**»[1]. والمقصود: أنَّ أفضلَ النساءِ هي تلك التي تضع الأمور في محلِّها فهي خارجَ مخدعها وعِشِّ الزوجية محتشمة ولابسة لثوب الحياء وحينما يختلي بها زوجهُا تُعطيه ما يحتاجه الرجل منها بلا حياء ولو قصَّرت في ذلك استحياءً فذلك هو الخجل الذي ذكرنا أنَّه قد يؤدِّي إلى التقصير في الواجبات وتضييع الحقوق في بعض الأحيان.

ومن الأمور التي يتحتم على الإنسان التوقف عندها والتأمل فيها استقتال البعض في الدعوة إلى تحرر المرأة، والدفع بها إلى الجُرأةِ على خرق كلِّ القيم والحدود الأخلاقية والدينية والعرفية وحينما يصل الأمر إلى ما يرتبط به يتراجع عمَّا يدعو إليه، فيبحث عن الزوجة الصالحة والمتسمة بالحياء والحشمة مثلاً ممَّا يكشف عن نوايا خبيثة مبيَّتة وراء تلك الدعوات.

---

(١) المصدر السابق: ج٥، ص٣٢٤.

ينقل لنا القرآن الكريم قصةً لطيفة لها علاقة بموضوع كلامنا ـ في سورة القصص الآيات من ٢٢ـ٢٨ ـ حاصلها: أنَّه حينما خرج موسى من مصر فارَّاً من بطش فرعون توجَّه إلى مَدْيَن فورد بئراً يسقي أهلها مواشيهم منها، فوجد امرأتينِ قد اعتزلتاهم ـ وهما بنتا النبي شعيب عليه السلام ـ فأخذتا تمنعانِ مواشيهما عن تلك البئر؛ لئلا تختلط بمواشي القوم فسألهما موسى عليه السلام عن شأنهما وسببِ اعتزالهما القوم وعدم سقيهما مواشيهما فأخبرتاه بأنَّهما تنتظرانِ انصراف الناس حتى يسقيانها من فَضول الماء لكي لا يتزاحما مع الرجال وأخبرتاه بسبب تصديهما لذلك فقالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[1] أي: لا يستطيع أن يسقي الغنم بنفسه.

وقيل: إنَّ موسى عليه السلام حينما سمع ذلك منهما أخذته الحميَّة، فرفع حجراً كان موضوعاً على فم بئر لا يقدر على رفعه أقلُّ من عشرة رجال، وطلب دلواً لينزح به الماء فأعطوه دلواً كبيراً لا يقدر على النزح به إلا عشرة رجال وقالوا له: انزح إنْ أمكنك. وكأنَّهم يستهزؤون به فنزح به وحده وسقى أغنام البنتينِ. وبعدما انصرفت البنتانِ أوى إلى الظل ليحتمي من شدة الحر وكان جائعاً جدَّاً، فدعا الله أنْ يرزقه خبزاً يأكله[2] ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[3].

---

(١) القصص: آية٢٣.

(٢) أُنظر: نهج البلاغة: ص٢٢٦.

(٣) القصص: آية٢٤.

وفي هذه الأثناء كانت الفتاتانِ قد رجعتا إلى أبيهما، وقصَّتا عليه ما جرى لهما مع الشاب وكيف أنَّه ساعدهما فأرسل كبراهما لتدعوه إليه فجاءته تمشي وعليها علامات الحياء فقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾(١) فلمَّا سمِع ما ذكرته من أنَّهم يريدون أنْ يُجازوه على ما صنع كرِهَ أنْ يذهب معها ولكنَّه كان مضطراً؛ لأنَّه كان خائفاً هارباً من سطوة فرعون فتَبِعها. وحينما رأى أنَّ الريح تضرب ثوبها أخذ يغضُّ نظره ويُعرض عنها بوجهه ثمَّ قال لها: يا أَمَةَ الله، كوني خلفي ووجِّهيني إلى الطريق بكلامكِ. فلمَّا وصل إلى دار شعيب عليه السلام وجده يتعشَّى، فدعاه ليشاركه الطعام فأبى موسى عليه السلام فاستغرب شعيب من ذلك وقال له: لِمَ؟ ألستَ جائعاً؟ فأجابه موسى عليه السلام: بلى ولكنْ أخشى أَن تريدوا إطعامي عوضاً عمَّا صنعتُه، وإنَّا من أهل بيتٍ لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملك الأرض ذهباً. ولم يأكل إلا بعد تأكيد نبي الله شعيب عليه السلام له أنَّ ذلك هو من إقراء الضيف الذي اعتاده وورثه من آبائه. وأخذ يقصُّ عليه قصته وكيف أنَّه هرب من قوم فرعون الذين يطلبونه ليقتلوه فطمأنه شعيبٌ عليه السلام بأنَّه صار في مكانٍ آمِن لا تصله سلطة فرعون.

ثمَّ اقترحت إحدى البنتينِ على أبيها أنْ يستأجر موسى عليه السلام لاشتماله على أهمِّ صفتينِ يبحث المستأجر عن اتصاف الأجير بهما ـ ولا سيما في مثل

---

(١) القصص: آية٢٥.

الظروف التي كانت تُحيط بشعيبٍ النبيعليه السلام من كِبَره وعدم وجود ابنٍ ذكرٍ له مع وجود بنتينِ شابتين عنده ـ وتلكما الصفتانِ هما: القوَّة والأمانة. وحينما سألها من أينَ علِمتِ أنَّ فيه هاتينِ الصفتينِ؟ أخبرته بما جرى معهما من رفع الحجر الكبير وأمر المسير قدَّامها لكي لا يراها.

وفعلاً لم يتردَّد شعيبعليه السلام في أن يعرض عليه أن يزوّجه إحدى ابنتيه في مقابل أنْ يستأجره للعمل عنده ثماني سنوات مع إبقاء الخيار له في الاستمرار في العمل لمدة سنتينِ أُخريين إنْ شاء هو فقبل موسىعليه السلام بذلك، وتمَّ ما اتفقا عليه[1].

وفي هذه القصة دروس ولطائف عديدة تستحقُّ الوقوف عندها ولكنَّنا سنقتصر على بعضها ممَّا له ارتباط بكلامنا حول حياء المرأة:

١) اعتزالهما الناس وانتظارهما انتهاءهم من السقي؛ لكي لا يتزاحما مع الرجال. والظاهر أنَّهما يصنعانِ ذلك يومياً. وتصوَّر معي كمْ كانتا يُلاقيانِ من صعوباتٍ وأتعابٍ بسبب ذلك الالتزام اليومي؟! وبالرغم من هذا لم تجعلا ذلك ذريعةً للتنازل عن مقتضيات الحياء والحشمة.

٢) حينما سألهما موسىعليه السلام عن سبب امتناعهما عن السقي قالتا له: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فقدَّمتا له العذر، فذكرتا أنَّهما

---

(١) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٧، ص٤٢٩.

مضطرتانِ للتصدِّي لهذا العمل؛ لعدم وجود مَن يفعل ذلك عنهما لكي لا تجول في ذهنه بعض الأفكار التي قد تخطر في بال الرجل حينما يرى المرأة متصديةً للعمل فتخالط الرجال.

٣) أنَّ الفتاتينِ حينما عادتا إلى البيت قصَّتا على أبيهما ما جرى لهما مع الشاب، ولم يُخفيا شيئاً عليه. وهذا شيءٌ مهمّ ينبغي تربية بناتنا عليه؛ لكي لا تكون فريسةً للذئاب البشرية، أو تشعر بالضعف والوحدة في مواجهة صعوبات الحياة مضافاً إلى أنَّه يزرع الثقة بالنفسِ وبالأهل أيضاً عندها.

٤) أنَّه حينما أرسل شعيبٌ عليه السلام إحدى بنتيه لتستدعي موسى عليه السلام جاءته وعليها علامات الحياء بادية؛ بحيث استحقَّ الأمر بذلك أنْ يذكره الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾[1]. وفي هذا يبرز أدبٌ قرآني عالٍ على مستوى نقل الحقائق والتعبير عنها فكم فرق بين أنْ يقال: فجاءته إحداهما، فقالت له: إنَّ أبي يدعوك ليجزيك. وبين ما ذكرته الآية؟! فإنَّه لو حُذف قوله: ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾. لكان في ذلك غبنٌ للبنت لعدم نقل واقعٍ يخصُّها له مَساس مباشر بقوام شخصيتها كفتاة مضافاً إلى ما في ذكر هذا الوصف من تأكيدٍ على أهميته، وأنَّ ترك ذكره سيُعطي إيحاءً بعدم أهميته، وأنَّ اختلاط المرأة بالرجل شيءٌ طبيعي فقد يقول القائل: إذا كانت بنت النبي هكذا تأتي الرجل وتحدِّثه بأريحية وعدم حزازة فما بالك بالنساء الاعتياديات؟!

---

(١) القصص: آية٢٥.

٥) أنَّها حينما جاءت تدعوه قدَّمت في كلامها أنَّ الدعوة هي من أبيها؛ لكي لا يتوهَّم أنَّها هي التي تدعوه وبيَّنت بعد ذلك أنَّ الدعوة هي لأجل أنْ يجازيه عمَّا صنعه معهما وأنَّ الذي يُجازيه هو أبوها لا هي. ولا يخفى على الفطن ما في كلِّ ذلك من دلالاتٍ على فطنتها وتحفُّظها في كلامها مع الرجال.

٦) أنَّ البنت حينما اقترحت على أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام اتضح أنَّها كانت واعيةً وملتفتةً لما يجري حولها، وكيف يكون تعامل الرجال إزاءها بحيث انتبهت إلى أمانته وكيف تعامل معها بشرف.

٧ـ الاحترام:

ومعنى الاحترام واضح؛ فهو يتحقق بالتقدير والعناية وإبداء الاهتمام والتوقير لما يراد احترامه. وهو خُلُق إسلامي وإنساني عام وله أنحاء وأشكال متعددة فقد يكون الاحترام لله سبحانه وشريعته وقد يكون للنبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة عليهم السلام وقد يكون للأشياء المقدَّسة، كالقرآن والكعبة المشرفة عندنا نحن كمسلمين وقد يكون للنعمة أو للأعراف أو القوانين الوضعية وغير ذلك. ولكنه ـ كخُلُق ـ لا يدخل في موضوع بحثنا ـ أعني: حسن الخلق ـ إلا إذا كان داخلاً ضمن دائرة احترام الآخرين من البشر، سواء كان بشكل خاص، كاحترام الزوجة لزوجها أو بالعكس، واحترام الابن أو البنت للوالدين ونحو ذلك أم كان بشكل عام؛ فإنَّ الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع عموماً هو من حُسن الخلُق.

وهناك مَن يرى أنَّ الاحترام هو مركَّب من الحبِّ والخوف؛ فهو ناشئ من تزاوج هذين الشعورين المتطرفين؛ ولذلك تجد فيه جانبين، أحدهما يدفع نحو بعض التصرفات، كالقيام للقادم مثلاً ويُلجم عن بعضها الآخر، ويمنع من فعله، كالضحك والتصابي في محضر كبار السنّ أو أصحاب الوجاهة مثلاً[١].

وعلى كل حال فالاحترام يمكن عدُّه من جملة الأمور التي يقاس في ضوئها المستوى الثقافي ومقدار التحضر الذي يتصف به الأفراد أو المجتمعات ـ إنْ لم يكن أهمَّها ـ ولهذا تجد تأكيداً عليه في الشريعة الإسلامية.

إنَّ للاحترام المذكور موارد ومظاهر متعددة نذكر بعضها:

فمنها: توقير الكبير والرأفة بالصغير فقد ورد عن النبيﷺ أنَّه قال: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا...**»[٢] ويَعدُّ أميرُ المؤمنين مخالفةَ هذا الأدب من الصفات البارزة للمجتمع السيّئ[٣]. والحاجة إلى ذلك تتأكد في رحاب الأسرة الواحدة فالاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة يؤدي إلى استقرار وضعها، ويُسهم في متانة بناء هذه الحلقة المهمة من حلقات المجتمع ويُنتج أفراداً ذوي شخصيات متزنة ليكونوا أصحاب أدوارٍ إيجابية في مجتمعهم.

---

(١) دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن الكريم: ص٨٦٢.

(٢) المفيد، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي: ص١٨.

(٣) أُنظر: نهج البلاغة: ص٣٥٤.

ولكن هذا لا يعني أنَّ أهمّيّة هذا الأدب تنحصر في ميدان الأسرة فقط بل تكون تلك الأهمّيّة ثابتة خارج أسوار البيت أيضاً فاحترام وإجلال الكبير بإظهار أمارات التقدير والتعبير عن غاية الاهتمام بشخصه وعدم تجاوز أدواره ونحو ذلك يُضفي على المجتمع ككل صفةً إيجابية تعكس رقيِّه وتحضُّره مضافاً إلى أنَّه يجسِّد تقديراً لإنسانٍ وفردٍ من المجتمع تقدَّم علينا في مراحل الحياة، وساهم في مسيرة الحياة المجتمعية، وضحَّى في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، وتحمَّل مسؤوليات مرحلة من مراحل المسيرة الإنسانية فسلَّم لنا مفاتيح مرحلة أخرى من تلك المراحل لنواصل السير، وعندنا حصيلة من تجارب الأجيال السابقة فاحترام مثل هذا الشخص هو نوع من أنواع التقدير ولون من ألوان ردِّ الجميل فيُحكى أنَّ شيخاً كبيراً جاء يسأل الناس وكان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً فاستعلم عنه وعن حاله فقالوا له: إنَّه نصراني محتاج فيستجدي فزجرهم عليه السلام وقال لهم: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! وأمر أنْ يُعطى من بيت المال[1].

ومنها: الاحترام في الحياة الزوجية فالاحترام المتبادل بين الزوجين هو عامل أساسي لاستقرار العلاقة بينهما والأسرة عموماً ومن دونه يتزلزل هذا الكيان المهم والذي يعدُّ اللبنة الأساس في بناء المجتمع خصوصاً وأنَّ الأبناء ينظرون إلى الأبوين على أنَّ كل واحد منهما هو مَثَلٌ أعلى له بل هم يستقون

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٢٩٣.

منهما الأخلاق والآداب لا شعورياً فإذا كانت تلك العلاقة تبتني على مراعاة المصالح الشخصية لكل واحد منهما وعدم مراعاة حدود الآداب العامة أو الخاصة بالزوجين فستسود الأسرة أجواء الفوضى وسيُنتج ذلك أفراداً ملغويمين وهم الأبناء والبنات الذين سيخرجون للمجتمع وسيكوّنون بدورهم أُسَراً يكونون فيها هم المثل الأعلى لأولادهم وتكون زمام الأمور فيها بيدهم ويُنشئون أولادهم ويوجِّهونهم كما يريدون.

والله سبحانه وتعالى راعى كل هذا وغيره فأوْلى علاقة الزوجية وطرفيها ـ الزوج والزوجة ـ من الاهتمام ما يناسب ذلك الاهتمام على المستويين التكويني والتشريعي فعلى مستوى الخلق والتكوين جعل بين الزوجين رابطاً من الرحمة والرأفة والسكينة، وإنْ لم يكن أي رابط نسبي بينهما وجعل هذا الأمر ملموساً وواضحاً للعيان، لدرجة أنَّه تعالى جعله آيةً من آياته إذ قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] وعلى مستوى التشريع قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2] وقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

---

(١) الروم: آية٢١.

(٢) النساء: آية١٩.

(٣) البقرة: آية٢٢٨.

ومنها: احترام آراء الآخرين وتوجهاتهم. ونحن نعلم أنَّ الاختلاف في الآراء هو من الأمور الطبيعية الملازمة للمجتمع الإنساني فنحن مع واقع الحال هذا أمام خيارين إمَّا أن نتعامل مع آراء مَن يختلفون معنا بالازدراء أو الإهمال والتوهين، أو بالاحترام والتقدير مع عدم التنازل عن قناعاتنا واحتفاظنا بحق مناقشة تلك الآراء على وفق مقتضيات الأخلاق الفاضلة والآداب السامية ولا أعتقد أنَّ إنساناً سوياً يختار الطريق الأول على الثاني ولكن بالرغم من هذا فكثير من الناس يقعون في هذا الخطأ، فيقابلون آراء الآخرين بالازدراء وعدم الاحترام والسبب في ذلك ـ بالرغم من وضوح قبح هذا الأسلوب ـ عوامل عديدة لا يخرج بعضها عن دائرة الاشتباه والمغالطة، من قبيل نصرة الحق وإبطال الباطل ونحوه مما لسنا بصدد التعرض إليه هنا والحال أنَّ الله سبحانه وتعالى ـ وهو العالم بحقائق الأمور ـ يقول لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] فما بالك بمَنْ تتبدل قناعاته مع الزمن؛ بسبب اكتسابه للخبرات، أو اطلاعه على بعض الحيثيات التي كانت خافية عليه ونحو ذلك.

---

(١) النحل: آية١٢٥.

ومنها: احترام مشاعر الآخرين. وهو أدب ذو بُعْدٍ إنساني قبل أن يكون أدَباً دينياً ولذلك فكلَّما ارتقى المجتمع أكثر وكان له نصيب من التحضُّر أكبر كلَّما اتسم أفراده بهذا الأدب بشكل أفضل. وكالمعتاد فقد اهتم الدين الإسلامي بهذا الأدب الإنساني الراقي وحثَّ على الالتزام به والاهتمام بجوانبه قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1] فلم يكتفِ بالحثِّ على اختيار أحسن الكلام وأن لا يختاروا الكلام السيئ الذي يخدش أحاسيس المقابل، حتى راحَ يبيّن العواقب الوخيمة التي تترتب على عدم مراعاة هذا الأدب وهو حصول الفرقة بين العباد وتحامل بعضهم على بعض وهو الهدف الذي يصبو إليه الشيطان حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ والنزغ هو تحامل البعض على البعض الآخر وفساد ذات بينهم[2].

ودأب قادة الإسلام على التأكيد على هذا الأدب وتوجيه عامة المسلمين إلى الالتزام به. وقد روي أنَّ عكرمة بن أبي جهل ـ والذي كان كأبيه من بعده في معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ حينما استأذنت زوجته من رسول الله في أن تذهب إليه لتدعوه إلى الإسلام وتأتي به إلى النبي صلى الله عليه وآله في المدينة حذَّر صلى الله عليه وآله المسلمين

---

(١) الإسراء: آية٥٣.

(٢) أُنظر: الفراهيدي، أحمد بن الخليل، العين: ج٤، ص٣٨٤.

من أن يذكروا أباه بسوء أمامه مراعاةً لمشاعره[١]. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**ربَّ كلامٍ كالحسام**»[٢] أي: كالسيف بمعنى أنَّ من الكلام ما يكون مؤذياً للآخرين كما أنَّ السيف يؤذيهم.

وذكر المفسِّرون أنَّ النبي يوسف عليه السلام حينما صار بصدد تعداد نعم الله عليه لأبيه يعقوب عليه السلام ـ بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾[٣] ـ لم يذكر نعمة إخراجه من البئر، مراعاةً لمشاعر إخوته الذين ألقوه فيها؛ لئلَّا يدخلهم الخجل بسبب ذلك[٤]. هذا ولكنَّنا ـ مع الأسف الشديد ـ نجد واقعنا بعيداً عن هذا الأدب المهم في كثير من الموارد والحالات، ويكفينا شاهداً على ذلك ما وصل إليه الحال في اللقاءات والحوارات في القنوات الإعلامية المختلفة التي ينبغي أن يكون الكلام فيها محسوباً له أن يظهر بشكل لائق وموافقاً لقواعد اللياقة وغير مخالف لآداب المحاورة ولكننا بالرغم من هذا أضحينا نرى واقعاً لا يسر من هذه الناحية.

---

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص١٤٤.

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٣.

(٣) يوسف: آية١٠٠.

(٤) أُنظر: مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج٤، ص٣٥٩.

٨ـ الإحسان:

ومعناه اللغوي واضح وهو ضدّ الإساءة[١]. والمقصود منه هنا الإحسان إلى الغير بمعنى التفضُّل وإسداء المعروف لهم. وهو جامع لكلِّ معروف[٢] فيتحقق بإيصال كل معروف إلى الغير[٣] سواء كان ذلك النفع مادياً أم معنوياً فيتحقق بحسن المعاشرة وعذوبة الكلام وتقديم المعونة المادية ومساعدة الضعيف بدنياً مثلاً ونحو ذلك.

ولهذا عُدَّ الإحسان في مرتبة أعلى من العدل فالعدل في التعامل مع الآخرين يعني المساواة في المقابلة، فإنْ جوبهتَ بخير قابلتَه بخير، وإن قوبلتَ بشرّ قابلتَه بشرّ بينما الإحسان هو أن تقابل الخير بأكثر منه، وأن تقابل الشرّ بأقلَّ منه[٤] فيتحقق بالعفو وغضّ النظر وبردِّه بالخير، كما لو أكرمت مَن اعتدى عليك؛ ولهذا قيل: إنَّ الإحسان يتضمَّن العدل؛ فإنَّه يلزم دفع الديون المترتبة عليك ـ والذي هو مقتضى العدل ـ قبل أن تتفضَّل بالصدقة التي يتحقق بها الإحسان[٥].

---

(١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٣، ص١١٧.

(٢) الأردبيلي، أحمد بن محمد، زبدة البيان في أحكام القرآن: ص٣٢٢.

(٣) وقد عرَّفه الشريف المرتضى بأنَّه: إيصال النفع للغير، بلا استحقاق منهم له. أُنظر: الشريف، المرتضى، الانتصار: ص٤٤٣.

(٤) أُنظر: الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن: ص٥٥٢.

(٥) أُنظر: جاد المولى، محمد أحمد، الخلق الكامل: ج٣، ص١٣٧.

ومما يدل على الفرق بين العدل والإحسان هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(١) ففرَّق بين العدل والإحسان.

وفي الحقيقة، فإنَّ الإحسان يكون عادةً نابعاً من قلب طيب ونفس نقية ولا يكون مواظباً عليه إلا النبلاء الذين يصنعون المعروف بمقتضى طبعهم. فربَّما لا يخلو شخص من عمل الإحسان في حياته ولكن هذا لا يعني أنَّ جميع الناس يصدق عليهم أنَّهم محسنون بل ذلك لا يتحقق إلا إذا كان الإحسان دأب الشخص وعليه تجري سيرته عادةً.

وقد ذكر بعض المفسِّرين أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ * وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢)، إشارة إلى ثلاثة أصناف من الناس: فمنهم المعاند الذي لا ينفع معه شيء وهذا هو الذي افترى على الله الكذب أو كذَّب بالحق لما جاءه ومنهم المجدّ الدؤوب الذي يسعى إلى الحق بإخلاص وهذا هو الذي يهديه الله إلى سبيله ومنهم مَن هو أعلى من ذلك وهم المحسنون(٣). ولهذا نجد في القرآن الكريم تأكيداً على السعي لأن نكون

---

(١) النحل: آية٩٠.

(٢) العنكبوت: آية٦٨ـ٦٩.

(٣) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٣، ص٤٥٩.

من المحسنين فتارةً يأمرنا بفعل الإحسان: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ﴾(١) وأخرى يُخبرنا بأنَّ الله مع المحسنين: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢) و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٣) وثالثة يقول لنا: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٤) وهل هناك شيء في الحياة أفضل من أن يكون الله مع الإنسان، أو أن يكون الشخص محبوباً لدى خالقه؟!

وفي الواقع فإنَّ الإحسان ليس مسؤولية شرعية تكون في عاتق الشخص فقط، بل قد يكون بُعدها الإنساني هو الأبرز فلو غضضنا النظر عمَّا أعدَّ الله للمحسن من ثواب يوم القيامة، ونظرنا إلى ما يترتب على فاعله من آثار وفوائد، وإلى ما يحصل عليه من سمعة حسنة وذكر طيب وكيف تكون له سلطة على قلوب الآخرين بل إنَّ هذا كله ما هو إلا انعكاس لآثار تلك الحالة النفسانية العظيمة، التي تجعل من الإنسان كائناً ملكوتياً لا يناله من الآخرين إلا الخير ولا يقابل الإساءة بمثلها، بل يقابلها بالإحسان وفعل الجميل. فهذه الحالة المعنوية والصفة النفسانية الراقية هي في الحقيقة المغنم الذي ينبغي

---

(١) البقرة: آية١٩٥.

(٢) العنكبوت: آية٦٩.

(٣) النحل: آية١٢٨.

(٤) آل عمران: آية١٤٨.

للإنسان أن يسعى للحصول عليه فبمثل هذه الصفات يسمو الإنسان ويرتقي، بل يمكن القول: إنَّه بها يكون إنساناً وفي هذا يقول الشاعر:

صنعُ الجميلِ وفعلُ الخيرِ إنْ أُثِـرا ... أبقـى وأحْمَـدُ أعـمالِ الفتـى أثـرا
بل لستُ أفهم معنى للحياةِ سـوى ... عن الضعيفِ وإنقاذ الـذي عثـرا
والناسُ ما لم يواسوا بعضَهمْ فهمُ ... كالسائماتِ وإن سمَّيتهمْ بشـرا[1].

وقد جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فذكر له أنَّه محتاج فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام فوجده منهكاً تبدو عليه أمارات الإنهاك والتعب فقال له عليه السلام: اكتب حاجتك على الأرض[2] فكتب الرجل: أنا فقير محتاج. فأمر عليه السلام قنبراً أن يكسيه حُلَّتين فلمَّا سمع الرجل ذلك أنشد قائلاً:

كســوتني حلّــة تــبلى محاســنها ... فسوف أكسوك من حسن الثناء حلـلا
إن نلتَ حسن ثنائي نلت مكرمة ... ولست تبغـي بـما قـد نلتـه بـدلا
إنّ الثنــاء ليحيــي ذكــر صــاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجـبلا
لاتزهد الدهر في عرف بدأت بـه ... فكلّ عبد سيجزى بالـذي فعـلا

وحينما سمع أمير المؤمنين عليه السلام قوله قال لهم: «**أعطوه مائة دينار**». فقيل له: يا أمير المؤمنين، لقد أغنيته؟! فقال عليه السلام: «**إنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:**

---

(١) أبيات من قصيدة للشاعر السوري خليل مردم بك، أُنظر: ديوان خليل مردم بك: ص٢٣٧.

(٢) وهذه كانت طريقة يتبعها أهل البيت عليهم السلام في بعض الأحيان مراعاةً منهم لحفظ ماء وجه السائل.

أنزل الناس منازلهم» ثمَّ أردف عليه السلام قائلاً: «**إنّي لَأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم، ولا يشترون الأحرار بمعروفهم**»[١]. وبالفعل فإنَّ صنع المعروف يُكسب القلوب ويكف عن صاحبه أذى كثيراً[٢] وقبل ذلك فهو يسمو بصاحبه إلى مصاف الأولياء والصالحين.

وللإحسان مظاهر عديدة ودرجات كثيرة، تختلف باختلاف الموارد والميادين فالإحسان للوالدين يكون باحترامهما وإكرامهما والعناية بهما من جميع الجهات. وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الإحسان في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٣] فأجاب عليه السلام قائلاً: «**الإحسان أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين**» بمعنى: أن تبقى على الدوام تخدمهما، وأن لا تنتظر أن يحتاجا إلى شيء فيطلبانه منك ثمَّ قال عليه السلام: «**أليس يقول الله عز** وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٤]؟!»[٥].

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٧٣.

(٢) وروي بهذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «الإحسان يقطع اللسان». البحراني، ابن ميثم، كتاب شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص١٨٤.

(٣) الإسراء: آية٢٣.

(٤) آل عمران: آية٩٢.

(٥) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٥٨.

والإحسان للزوجة يكون بإكرامها في الكلام والفعل وإكرام أهلها ومعارفها والإرفاق بها والتوسعة عليها بالمال والمأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك وعدم جعلها محتاجة إلى الغير بشيء. وينبغي أن يولي الرجل الجانب العاطفي اهتماماً بالغاً فالمرأة بطبعها عاطفية مرهفة تحتاج بشكل دائم إلى أن يكتنفها الرجل ويُشبعها عاطفةً وحناناً ويُشعرها بالأمان.

قال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾[١] أي: العشرة الإنسانية اللائقة لها كامرأة[٢] وقد ورد عن النبي الأكرمﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً فإنَّهنَّ عندكم عواني**»[٣] أي: أسيرات.

والإحسان للزوج يكون باحترامه وطاعته وحفظ كرامته وسرِّه في غيبته وتوفير أجواء الراحة والشعور بالسكينة في بيته بعدما قضى جلّ وقته في سبيل تحصيل ما يسد به حاجاتهم ومراعاته من الناحية العاطفية وسد احتياجاته الجنسية فالزوجة خُلقت لتكون له سكَناً[٤]. ومن أفضل صور الإحسان للزوج صيانة شرفهن، وحفظ عرضه، وعدم خيانته، والوفاء له، ومراعاة سمعته ومكانته الاجتماعية.

---

(١) النساء: آية١٩.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٣، ص١٦٢.

(٣) ابن جمهور الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم، عوالي اللآلي: ج١، ص٢٥٥.

(٤) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. الروم: آية٢١.

والإحسان للأولاد يكون بالاهتمام بهم وإشعارهم بالحب والحنان والرفق بهم وتعزيز الثقة بأنفسهم والتوسعة عليهم بالإنفاق وسدِّ حاجاتهم وإعطائهم من الوقت مقداراً كافياً بالجلوس معهم والحديث معهم والاستماع لآرائهم وقد ورد في الحديث الشريف أنَّ جلوس المرء عند عياله أفضل عند الله من اعتكافه في المسجد[١]. ومن أفضل مظاهر الإحسان للأولاد زيادة الاهتمام بتربيتهم والحرص على أن يتزينوا بمحاسن الآداب والأخذ بأيديهم في كل خطوة في هذا المجال، وعدم الاكتفاء بإلقاء التوجيهات، بل ينبغي إعطاؤهم من أوقاتنا ما يكفي في هذا المجال ولعلَّه من أهمِّ نماذج ذلك الإسهام في تنشئته على أن يبرَّ أبويه؛ فإنَّ هذا مفتاح كلِّ خير للأولاد وقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**رحم الله مَن أعانَ ولده على بِرِّه**»[٢].

والإحسان للجيران يكون بإيصال المعروف لهم وإسداء المساعدة لهم وحفظ أسرارهم وأموالهم والتودد إليهم، والتقرب منهم بكلِّ ما هو جميل.

والإحسان لسائر الناس يكون باحترامهم، والتواضع لهم، ومساعدة المحتاج منهم، ومواساتهم ومشاركتهم في همومهم وأفراحهم وأحزانهم ونحو ذلك. وباختصار: فإن الإحسان إلى الناس هو أن يصل إليهم منك كل معروف وفي جميع الحالات وعدم مقابلتهم بالمثل عند الإساءة من قبلهم.

---

(١) أُنظر: الحمداني، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورَّام): ج٢، ص٤٤١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٥٠.

هذه بعض مظاهر حُسن الخلق اقتصرنا عليها لأهميتها بالمقايسة إلى ما عداها ولأنَّ كتابنا هذا مبني على الاختصار.

ونود أن نختم هذا الفصل بحديثٍ قيم لإمامنا الصادق عليه السلام يُوصي به أتباعه ومحبيه بوصايا مهمة.

حيثُ روى أبو أسامة زيد الشحَّام، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**اقرأ على مَن ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأُوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، أدوا الأمانة إلى مَن ائتمنكم عليها براً أو فاجراً؛ فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم؛ فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري. فيسرني ذلك، ويدخل عليَّ منه السرور، وقيل : هذا أدب جعفر. وإذا كان على غير ذلك دخل عليَّ بلاؤه وعاره، وقيل : هذا أدب جعفر. فوالله، لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعه علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: مَن مثل فلان؛ إنه لآدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث**»[1].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٣٦.

الفصل الرابع

ميادين بارزة لحُسْن الخُلُق

الفصل الرابع: ميادين بارزة لحُسْن الخُلُق

صحيح أنَّ حُسْنَ الخلق ليس هو حاجةً غريزية تنتفي عند إشباعها، ولا هي حالة اضطرارية تنتهي حين ارتفاع الاضطرار مثلاً بل هو سجية خُلُقيَّة جُبِلَت عليها النفس، وحاجة مجتمعية دائمية لا ينبغي مفارقتها في مجالٍ دون آخر أو الاكتفاء بممارستها في زمانٍ دون آخر، أو في حالةٍ دون أخرى ولكن بالرغم من ذلك، فإنَّ هناك بعض المجالات تتأكَّدُ فيها الحاجة إلى إبراز هذا الخُلُق وإعمال تلك السجيَّة الحسنة.

ونحنُ هنا في هذا الفصل عازمون على ذكر بعض تلك الميادين المهمَّة التي تتأكَّد فيها الحاجة إلى التعامل بِحُسن الخلُق وهي:

١ـ الأسرة

لا زالت المجتمعات ـ على اختلاف ثقافاتها وتعدد الحضارات ـ تولي اهتماماً متزايداً بالأُسرة، وإن كان يختلف ذلك الاهتمام من مجتمع إلى آخر شدة وضعفاً فهي فضلاً عن كونها تسدُّ حاجةً تكوينية للفرد من عدَّةِ جهاتٍ كتوفير حالةٍ من التكافل على المستوى المعيشي وتحقيق الأمن والشعور بالدفء العاطفي ونحو ذلك ممَّا لا يخفى على أيِّ أحد فهي تمثِّل ضرورةً مجتمعية وحاجةً ملحَّة حيث تُعَدُّ اللبنة الأساسية للمجتمع؛ ولهذا فمَن يريد

بناءَ مجتمعٍ صالح فأوَّلُ وجهةٍ يوجِّه أنظاره إليها هي الأسرة. وفي المقابل مَنْ أَراد هدمَ مجتمعٍ وتقطيع أواصره وتضييع قيمه، فلا ريب في أنَّ جُلَّ جهوده سيوجِّهها إلى الأسرةِ كذلك.

ولهذا تجد الشريعة الإسلامية قد أبدت اهتماماً عالياً بها على مستوى الأحكام والوصايا والإرشادات والآداب فقد وضعت حدوداً لا يجوز تجاوزها من الواجبات والحقوق التي تنظِّم أدوار أفراد الأسرة فأوجبت على الزوج السعي إلى توفير احتياجات العائلة ـ أي: الزوجة والأولاد ـ وسدّ حاجاتهم من الطعام والشراب والملابس والمسكن ونحو ذلك ونفس هذا يكون حقَّاً للعيال عليه. وأوجبت على الزوجة أَن تسدَّ للزوج حاجته الطبيعية كرجل للمرأة، وأن توفِّر له الحضن الدافئ ليقوى على مواجهة الحياة وعدَّت ذلك حقَّاً للزوج عليها.

كما أوجبت على الأبوين المحافظة على الأبناء وتوفير ما يلزمهم من أمور معيشية وتربوية أساسية، بحيث لا يجعلانهم عرضةً للضياع أو التشرُّد مثلاً. وكان هذا حقَّاً للأولاد عليهما.

ومن جهةٍ أخرى أوجبت على الأبناء والبنات حدوداً معينة من الطاعة للوالدينِ وحرَّمت عليهم ارتكاب ما يؤدِّي إلى إيذائهما وجعلت ذلك من حقوق الوالدين عليهم.

هذا ولكنْ لا ينبغي للذي يريد بناء أسرةٍ مثاليةٍ ـ تغمرها سمات السعادةِ وتسودها أجواء الطُّمأنينة وتتصف بالاستقرار ـ أَنْ يركِّز على تلك الواجبات

وهذه الحقوق فقط فالواجبات والحقوق هي حدودٌ يُلْزم بها مَنْ كانَ له استعداد على خرقها وظلم نفسه وظلم الآخرين وليست هي وسيلةً لتحقيق الهدف المنشود من تأليف أُسرةٍ مثاليةٍ تكون نواةً للمجتمع الصالح. ولأجل هذا يتوجَّب تجاوز هذهِ الواجبات والحقوق ـ واعتبار تحققها من الأمور الواقعة حتماً والمفروغ عن توافرها بشكلٍ طبيعيٍّ وسلس ومن باب تحمُّل كلِّ طرف من الزوج والزوجة والأبناء لأدنى مستوى من المسؤولية ـ وصرف النظر إلى ما هو أعلى من ذلك من مسؤوليات على هؤلاءِ تُجاه الأسرة؛ باعتبارها الكيانَ المقدَّس الذي يحفظ هويتهم كأفرادٍ وكمجموع ويوفِّر لهم جميعاً الأمن والطمأنينة والاستقرار والتركيز على التعامل مع هذا الكيان وأطرافه بما يقتضيه الخلُقُ الحسَنُ. ونظرةٌ سريعة إلى ما وردنا من تعاليم ووصايا شرعية ـ قرآنية وحديثية ـ نجدُ هذا الذي ذكرناهُ يبرز فيها بشكلٍّ واضح.

وأوَّلُ الخطوات في هذا المجال هو النظر إلى الأسرة، بما هي كيانٌ واحد يُراد له الثبات والاستقرار، وعدم ملاحظة نوع ارتباط الفرد بهذا الكيان وما يترتب على هذا الارتباط من حقوق وواجبات. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**ما بُني بناءٌ في الإسلامِ أحبُّ إلى الله تعالى من التَّزويج**»[1]. فينبغي لنا التأكيد على هذه النظرة عند متعلقينا ولا سيّما الأولاد.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَن لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٣٨٣.

ومن الطبيعي أنَّ مسؤوليات أفراد الأسرة ليست هي على مستوى واحد فمسؤولية الرجل ـ كزوجٍ من ناحية وكأبٍ من ناحيةٍ أخرى ـ هي الأهمُّ والأكبر. فهو الراعي الأول للعائلة والقيِّم عليها؛ ولهذا تجد تركيزاً في النصوص الشرعية على دوره وذلك لوضوح أنَّه يمثِّل دورَ الرُّبَّان للسفينة فقد ورد عن زين العابدين عليه السلام في هذا الخصوص قوله: «**إنَّ أقربَكُم من الله أوسعُكُم خُلُقَاً، وإنَّ أرضاكُم عند الله أسبغُكُم على عياله**»[١]. وفي الحقيقة تبرز هنا ظاهرة أشارت إليها الرواية المذكورة وغيرها وهي التأكيد ـ مضافاً لحُسن التعامل ـ على الجانب المادِّي، وكيف ينبغي لربِّ الأُسْرة أن لا يقصِّر في هذا الجانب. ومن باب المثال ـ لا الحصر ـ ننقل ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام حيث قال: «**ينبغي للرجُلِ أن يُوَسِّعَ على عياله كيلا يتمنَّوا موته وتلا هذه الآية** ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٢]. **قال: الأسيرُ عيالُ الرجُل ينبغي للرجُل إذا زيد في النِّعمة أن يزيد أُسراءَه في السَّعة عليهم**»[٣]. وهذا يستند إلى ما جُبِلت عليه النُّفوس من الإقبال على مَن أحسنَ إليها معنويَّاً بالتعامل الجيِّد، ومادياً بالتفضُّل والإنعام فصُنع المعروف واللطف والبَشاشة يُكسبانِ المحبة والبخل وعُبوس الوجه يؤديان إلى عكس ذلك[٤].

---

(١) المصدر السابق: ج٤، ص٤٠٨.

(٢) الإنسان: آية٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص١١.

(٤) وهذه المسألة ثابتة بالوجدان. وقد أشارت إليها بعض النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام. أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٣.

بعضُ الرجال يؤسس له داخل بيته مملكةً يتربَّع على عرشها، ويجعل عياله خدماً وحَشَماً له فيُخيَّل إليه أنَّه بهذا سيبني شخصيته ويفرض هيبته على عياله. وهو مخطئٌ في ذلك حَتماً فإنَّ ذلك وإنْ كانَ ربَّما يؤدِّي إلى ظهور عياله أمامه بسلوكٍ منضبطٍ؛ لكي لا ينالهم شرُّه ولكنَّه لا يساهم في تربيتهم بشكلٍ صحيح ولا يساعد في بناءِ أُسرةٍ مستقرَّةٍ يسودُها الحبُّ والوئام.

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليٍّ وفاطمة عليهما السلام في بيتهما، فوجدَ فاطمةَ تطبخ وأمير المؤمنين يُنقِّي العدَس فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله كلاماً عجيباً في فضل مَن يساعدُ عياله في بيته من جملته قوله صلى الله عليه وآله: «**يا عليُّ، مَن كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف كتب الله اسمه في ديوان الشُّهداء، وكتب له بكلِّ يومٍ وليلةٍ ثواب ألف شهيدٍ**»(١).

ولا يقلُّ دور المرأة كزوجةٍ وأمّ عن دور الرجل في الأسرة بل دورها في بعض الجهات أهمُّ فهي التي وصفها القرآن بأنَّها سكنٌ للزوج فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾(٢) بمعنى: أنَّها تكون له أُنساً وطمأنينةً(٣) فهي الحضن الدافئ للأبناء والقلب الذي يسعهم حناناً

---

(١) الشعيري، تاج الدِّين، جامع الأخبار: ص١٠٢.

(٢) الروم: آية٢١.

(٣) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص٢٤٠.

وشفقة، حتى صارت مضرباً للمثَل في الرأفة والشفقة؛ ولذلك فهي تُعَدُّ في العائلة كالخيط في المسبحة إذا انقطع تفرَّقت حبَّاتُها.

العيش ماضٍ فأكرم والديك به ... والأمُّ أوْلى بإكرامٍ وإحسانِ

وحسبها الحمل والإرضاع تدمنه ... أمران بالفضل نالا كلّ إنسان[١].

وليس في الأديان ولا في الأنظمة الوضعية ما يُداني الإسلام في شدَّةِ التأكيد على دور الأم، ومَن منَّا لم يسمع بخبر الرجل الذي جاء للنبيﷺ فسأله عمَّن هو أحقُّ بأن يبرَّه فقال لهﷺ: أُمَّك. فقال له الرجل: ثمَّ مَنْ؟ فقال لهﷺ: أمَّك. فأعاد السؤال ثالثةً فأجابهﷺ بنفس الجواب فلم يعدل عن ذكر الأمِّ إلا بعد أن كرَّر الرجل سؤاله مرَّةً رابعة: ثمَّ مَن؟ فقالﷺ: أباكَ[٢]. ولأجل هذا فإنَّ مسؤوليتها تتعاظم وينبغي لها أن تكون جهودها مضاعفة في الحفاظ على أُسرتها فتتسلَّح بالصبر والحلم، فلا تُقابل زوجها وأبناءها إلا بما ينتظرون منها من لُطفٍ وبَشاشةٍ لتكون عونَاً لزوجها على ما يَلْقاهُ خارج البيتِ في عمله وغيره من مشاكل وضغوطات، لا أنْ تزيد في معاناته فينبغي لها أن تكون له الركن القويَّ الذي يسندُ إليه ظهره؛ ليواجه مصاعب الحياة من أجل حماية عائلته وتوفير حياةٍ كريمةٍ لهم. ولهذا ورد عن النبيﷺ قوله: «**ما استفاد امرؤٌ مسلمٌ فائدةً بعدَ الإسلام أفضل من زوجةٍ**

---

(١) أبو العلاء المعري، أحمد بن عبدالله، اللزوميات: ج٢، ص٣٨٠.

(٢) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٥٩.

مسلمةٍ تسرُّه إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله»[١]. وفي قبال ذلك ورد عن الصادق عليه السلام: «**أغلبُ الأعداء للمُؤمن زوجةُ السُّوء**»[٢] بمعنى: أنَّ أشدَّ الأعداء عليه غلبةً هو الزوجة السيِّئة. وسبب ذلك واضح؛ فإنَّها تُعدُّ الجبهة الداخلية له التي تكون إصابتها له بالصميم.

فهذا كلُّه يعكس أهمّيّة دور المرأة في الأسرة، وحجم المسؤولية الملقاة على عاتقها فكما أنَّ مصير العائلة على صعيد توفير أسباب العيش الكريم وحفظ كرامتها بيد الرجل عادةً فإنَّ دفَّتها على صعيد التربية وتوفير الأجواء الدافئة هي بيد المرأة فلكلٍّ منهما دورُه المهم. وهذا يفسِّر لنا ما ورد من روايات تنهى عن الأخذ برأي المرأة أو متابعتها في تقديراتها للأمور؛ فإنَّ خلقتها تتناسب مع دورها في توفير السكينة والطُمأنينة للعائلة؛ لِما وهبها الله من عاطفةٍ جيَّاشة ورحمةٍ واسعة وقدرة على التحمُّل عالية وهذا لا يتلاءم مع الأجواء خارج أسوار البيت المليئة بالمزاحمات والمضايقات ففي الحديث النبويّ: «**طاعةُ المرأة ندامةٌ**»[٣]. وطبيعي ليس المقصود أفضلية مخالفتها في كلِّ شيء بل في ما هو خارج عن حدود إمكانياتها، وما هو بعيدٌ عن منال مواهبها التي حَبَاها الله بها؛ ولهذا ورد في حديثٍ نبويٍّ آخر: «**مَن أطاع امرأته أكبَّه الله على**

---

(١) المصدر السابق: ج٥، ص٣٢٧.

(٢) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَن لا يحضرُه الفقيه: ج٣، ص٣٩٠.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٥١٧.

وجهه في النار. قيل: وما تلكَ الطاعةُ؟ قال: تطلبُ منهُ الذَّهاب إلى الحمَّامات والعُرُسات والعِيدَاتِ والنِّيَاحَاتِ والثِّيَابَ الرِّقَاقَ»[1] أي: ترتاد الحمامات التي هي بمثابة صالونات التزيين في وقتنا والعيدات التي هي بمثابة الحفلات في وقتنا والنياحات التي هي بمثابة مجالس الفاتحة ونحوها في عصرنا الحاضر وتلبس الثياب الرقاق أي: غير اللائقة والمخالفة للحشمة والحجاب الشرعي أمام الأجانب أو خارج بيتها. وطبيعي المقصود أن تكون عادتها هي كذلك، وليس المقصود الحث على منع النساء من فعل جميع هذه الأمور مطلقاً، ولو مع المحافظة على الموازين الأخلاقية والأعراف الاجتماعية، وقبل ذلك مراعاة الحدود الشرعية.

وهكذا يقع على كاهل الأولاد دورٌ في بناء العائلة السعيدة، سواءٌ كان ذلك تجاه أبويهما أم كان في ما بينهم. فيلزمهم أن يحرصوا على طاعة والديهم، وعدم إيذائهما بشيء، وعلى تقوية أواصر المحبة مع والديهم وفي ما بينهم وأن يكون التعامل في ما بينهم مبتنياً على الرفق والتسامح، وعلى أن لا يسمحوا لأي أمر أن يوقع بينهم فيتفرقوا ويفقدوا أهمّ دائرة من دوائر الحماية المجتمعية وهي الأسرة. وهذا لا يحصل ما لم تكن للابن أو البنت نظرة إيجابية للعائلة ولدوره أو دورها في بنائها. وصحيح أنَّ الدور الأساسي في تكوين تلك النظرة الإيجابية تقع مسؤوليته على الوالدين، ويرتبط مباشرة بطريقة

---

(١) المصدر السابق.

تربيتهما للأولاد ـ وكما ورد في الحديث الشريف: «**رحم الله مَن أعانَ ولده على بِرِّه**»[١] ـ ولكن هذا لا يعفي الابن أو البنت من أن يقوم كلٌّ منهما بدوره في بناء الأسرة، والمساهمة في تأدية دورها الإيجابي في بناء المجتمع السليم. والخطوة الأُولى في ذلك هي أن ينظر الابن أو البنت إلى الأمر بعين المسؤولية، ويدركان أنَّهما غير خارجين عن دائرة المسؤولية، وأنَّهما مكلَّفانِ أيضاً برعاية أمور الأسرة والاهتمام بشؤونها فإذا تولَّدت هذه النظرة لديهما سيكونانِ بلا شك حريصين على توفير كلِّ ما له ارتباط بالحفاظ على هذا الكيان المقدَّس فهذا في الحقيقة يُعدُّ الباب الرئيسي الذي يدخل منه حسن الخلق والتعامل الجيد بين أفراد الأسرة. ولهذا نرى أنَّ الأبوين يتحمَّلانِ أبناءهما عادةً، حتى لو كانوا جاحدين لحقوقهما وعاقِّين لهما فنجدهما في الغالب يتحملانِ كلَّ ذلك ويتجاوزانِ عن أخطاء الأبناء، ويقابلانهم برأفة ويتعاملان معهم بلطف ويعفوانِ عنهم فصحيح أنَّ الإنسان مفطور على حبِّ الأبناء والتعلق بهم ولكن لشعور الأب والأم بالمسؤولية دور كبير في ذلك أيضاً. فإذا كان هذا الشعور مزروعاً في أبنائنا أيضاً، فسيكون الحصاد هو تحملهم المسؤولية؛ وبالتالي سيكون منهم الحرص على المحافظة على كل ما يُسهم في بناء الأسرة فيتولَّد الحرص عندهم على التعامل مع أفراد العائلة بحسن الخلق، من اللطف والبشاشة والتسامح والإحسان وغير ذلك.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٥٠.

وفي آخر كلامنا في هذا الميدان لا يفوتنا التنبيه على أنَّ هناك خُلُقاً مهماً يبرز دوره الإيجابي في هذا المجال وهو الإنصاف فإنَّه مضافاً لكونه سيدَ الأعمال ـ كما عرفت ـ فهو يهدي الأبناء إلى حقيقة مهمة يمكن ـ لو أدركها الابن أو البنت ـ أن تُداعب مشاعرهما؛ فتتولد لديهما تلك الرؤية الإيجابية للأسرة، وإدراك دورهما في بنائها وتحملهما المسؤولية في ذلك، وبالتالي تدفعهما إلى الحرص على المحافظة على التعامل الحسن مع سائر أفراد العائلة. فالابن لو استحضر في ذهنه أنَّه سيكون في المستقبل أباً وستكون زوجته المستقبلية أمَّاً سيدفعه الإنصاف إلى التعامل مع والديه كما يتمنى هو أن يتعامل معه ومع زوجته أولادهما وسيتعامل مع إخوته وأخواته كما يتمنى أن يتعامل أولاده في ما بينهم من خلُق حسنٍ وسلوك جيد.

٢ـ الأصدقاء

تعدُّ الصداقة من أروع مظاهر العلاقات الاجتماعية عبر العصور. وهي تجربة لا يفلت بشرٌ من دخول غمارها. فما يبدأ الإنسان رحلته في الحياة ومع بدايات إدراكه للأمور وفي مستهل تكوُّن مشاعره وأحاسيسه ينشأ عنده الميل إلى الاجتماع والاختلاط بالآخرين من خارج دائرة عائلته فيسعى إلى التعرف على مَن يشابهه أو يقاربه بالعمر والصفات النفسية؛ فيشكِّل علاقاتٍ بسيطة وساذجة ربَّما تطورت في ما بعد ومع نضوج الشخص عقلياً وعاطفياً يشرع بالبحث عن أصدقاء وأخلاء له، يصارحهم ويصارحونه، ويسامرهم

ويسامرونه. وربما تتطور تلك العلاقات فتكون أوثق من علاقة الشخص بعائلته في بعض الأحيان.

وكما بتنا نعاني من المشاكل والإشكاليات التي تهدد كيان الأسرة فكذلك صرنا نشاهد ما يهدد علاقات الصداقة وينخر بها. وعوامل ذلك عديدة لسنا بصدد التعرض لها ولكن ما يهمنا حقّاً هنا هو التذكير والتأكيد على بعض الأخلاقيات التي صرنا بحاجة إلى التأكيد عليها في سلوكياتنا، ضمن إطار علاقاتنا مع أصدقائنا وزملائنا. فمن ذلك:

١) ينبغي أن يكون التعامل المبتني على الاحترام والتقدير هو السائد بين الأصدقاء وأن لا تُزيح أجواء الصداقة جميع الحُجُب وتزيل جميع الحدود، بحيث يصدر من البعض ما ينافي آداب التعامل وأخلاقيات السلوك.

نعم لا بأس بالمفاكهة والملاطفة ضمن حدود الأدب، ومع الحفاظ على حدود الأخلاق بل إنَّ ذلك شيء مستحسن. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سأل بعض أصحابه عن مداعبة بعضهم بعضاً فأجابه بأنّهم لا يصنعون ذلك إلا قليلاً فنصحه بأن لا يتركوا ذلك، وأنَّ المداعبة من حسن الخلُق، وأنَّها تُدخل السرور على الصديق[1].

٢) من الصعب أو المستحيل أن تجد شخصين متطابقين بآرائهما دائماً. وعليه فمن العبث الحرص على إقناع أصدقائك بآرائك دائماً، بحيث تبقى

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٦٣.

مصرَّاً على أن يقتنع برأيك فإنَّ ذلك قد يؤدي إلى تولد الشحناء، ومن ثَمَّ خسارة صداقتهم. وقد جاء في الحكمة الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام: «**أعجز الناس مَن عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه مَن ضيَّع مَن ظفر به منهم**»(١).

٣) لا بدَّ من تحكيم مبدأ التسامح والعفو والتجاوز عن أخطاء الأصدقاء، وعدم تتبع الهفوات وإلا فلو توقف أحدنا عند كل زلة من أصدقائنا لَمَا بقيت صداقة على وجه الأرض. وقد صدق الشاعر إذ يقول:

إذا ما صديقي رابني سوء فعله ... و لم يكُ عمَّا رابني بمُفيقِ

صبرتُ على أشياء منه تريبني ... مخافةَ أن أبقى بغير صديقِ(٢).

ثمَّ إنَّ ذلك خلاف الإنصاف؛ باعتبار أنَّ كل واحد منَّا من الممكن أن يخطئ أو يقصِّر في حق صديقه أفلا نُحب أن يكون صديقنا معنا متسامحاً ومتجاوزاً عن تقصيرنا؟ بالطبع نعم فكيف إذن لا نكون نحن معه كذلك؟!

٤) ويلزم حفظ كرامة الصديق في محضره وعند غيبته؛ فإنَّ هذا من جملة الوفاء له. وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وفي غيبته ووفاته**»(٣).

---

(١) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ص٤٧٠.

(٢) البيتان للبحتري. ديوان البحتري: ج٣، ص١٥٦٠.

(٣) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ص٤٩٤.

٥) إنَّما سمي الصديق صديقاً من باب تغليب صفة الصدق؛ لأنَّه يصدقه بالنصيحة والمودة[١] فمن حق الصداقة أن يكون أطرافها متناصحين أوفياء لبعضهم، لا يرتضي أحدهم أن يقع الآخر في ما يؤذيه أو يشينه وأن يكونوا مصاديق بارزة لقوله عليه السلام: «**أَحِبْ لأخيكَ ما تُحبُّ لنفسك**»[٢]:

٦) الوقوف مع الأصدقاء في الشدائد ومساعدتهم عند الاحتياج. ومن الإنصاف لهم أن يكون ذلك على مبدأ قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٣]؛ فإنَّ الأخ عضد أخيه ولا خير في إخوَّةٍ من دون تعاون وإخلاص وإعانة الصديق في غير مجال الخير هو في الحقيقة خيانة له. وقد نُسب لأمير المؤمنين عليه السلام قوله:

عليك بإخوان الصفاء فإنَّهم ... عمادٌ إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإنَّ عدواً واحداً لكثير[٤].

٧) بذل النصح للصديق، وتقديم الاستشارة إليه، وتحمله عندما يقدم هو على النصح والإنصات إلى رأيه، وإشعاره بالاهتمام بآرائه مهما كان

---

(١) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٥، ص٥٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٥٠٨.

(٣) المائدة: آية٢.

(٤) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف: ج١، ص٢٠٩.

مردودها وقد ورد في الحديث عن الباقر عليه السلام: «**اتَّبِعْ مَن يُبكيكَ وهو لك ناصح ولا تتَّبع من يُضحكك وهو لك غاش**»(١).

هذه بعض الآداب في ميدان الأصحاب والأصدقاء وبعض تطبيقات حسن الخلق في هذه الدائرة اكتفينا بذكرها لئلا يطول الكلام فاقتصرنا على المهم منها.

٣ـ الجيران

من الأمور التي كانت تتميز بها مجتمعاتنا الشرقية الاهتمام بالجيران، وذلك بحفظ حقوقهم، ومراعاة مشاعرهم، ومشاركتهم أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم، ومساعدتهم في وقت الاحتياج إلى المساعدة. وكنا لأوقات قريبة نعيش عملياً في بيتين البيت الصغير الذي تسكن فيه العائلة والبيت الكبير الذي هو المحلة التي يقع فيه بيت سكنانا. ولكن الأمور اختلفت الآن وآلت إلى ما هو أسوأ وصرنا نشكر الله إذا ما حظينا بجيران لا يصلنا أذاهم أو نخشى حصول ذلك على أقلِّ تقدير. وقد ساهم في هذا التحول عوامل عديدة، كزيادة أعداد السكان مع عدم مواكبة تلك الزيادة بتوفير ما يحتاجه الناس من مواطن سكن لائقة وكثرة تنقلات العوائل باختيارهم أو من دون اختيار منهم وتبدل الثقافات، وتغير القناعات بعد

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٣٨.

هذا الانفتاح الهائل على الحضارات الأخرى، بواسطة وسائل الاتصال والإعلام الحديثة وغير ذلك من أسباب قد نختلف فيها في ما بيننا، أو نختلف في مستوى تأثيرها على ذلك ولكنَّنا بكلِّ تأكيد سوف لا نختلف حول حاجتنا ـ كمجتمع ـ إلى العودة إلى أخلاقياتنا في مجال تعامل الجيران في ما بينهم على مبدأ:

إذا شـاعَ الحريـقُ ببيـتِ جـارٍ فبيتُـك قـد يصـير إلى السـعيرِ
ومَـن يخـذلُ أخـاه في الرزايـا يظلُّ على الزمـان بـلا نصـيرِ[1].

ولو اطلعنا على وصايا الإسلام في هذا المجال، وكيف يحثُّ على مراعاة حق الجيرة لأُثير استغرابنا من شدَّة التأكيد على ذلك، لدرجة تجعل النبيﷺ يقول: «**ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنَّه سيورثه**»[2] أي: إنَّهﷺ ولشدة تأكيد الوحي على ضرورة مراعاة الجار ـ كان يتوقع أنَّه سيجعل له حقَّاً في الإرث؛ فيكون حاله من هذه الناحية حال الأهل والأقرباء. ومن الطبيعي أن المقصود من تعبيرهﷺ المذكور المبالغة في بيان أهمّيّة الجار وشدَّة تأكيد الوحي عليه.

وهناك حديث آخر يمكن عدُّه القاعدة العامة التي ينبغي لنا الاستناد إليها في التعامل مع جيراننا وهو قولهعليه السلام: «**ليس حسن الجوار كفَّ الأذى**

---

(١) البيتانِ للشاعر السوري زكي قنصل. كتاب (زكي قنصل ... الأعمال الشعرية الكاملة): ج١، ص٩٧.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ٤، ص١٣.

ولكن حسن الجوار صبرُكَ على الأذى»[١]. فالبعض حينما تعاتبه على بعض تصرفاته تجاه بعض جيرانه تجده يبالغ في عرض مساوئ ذلك الجار، وينطلق لسانه بذكر مظاهر إيذائه له، متوهماً أنَّ ذلك مسوِّغٌ للتخلي عن الآداب التي يلزم أن تكون طاغية على سلوكياته وتعامله مع الجيران ولكن الحديث المذكور لا يُعطي مجالاً لمثل هذه التوهم بل هو يترقَّى ويحثُّ على التحلي بمرتبة أعلى من مجرد عدم مقابلة الإساءة بمثلها، فيطلب منَّا التحلي بالصبر، وتحمل أذى الجار، وعدم إبداء التبرم، أو إظهار التشكِّي منه فيقول: إنَّ حسن الجوار لا يتحقق إلا إذا صبر أحدنا على أذى جاره.

وفي الحقيقة، فحسن الجوار ـ ومراعاة حق الجوار وتأكُّد التعامل بين الجيران بحسن خلقٍ ـ هو قضية اجتماعية متجذِّرة، وظاهرة حضارية راسخة، وليست وليدة الشرائع السماوية وإن كانت تلك الشرائع ـ ولا سيما الإسلام ـ قد حثَّت على التحلي بها، وأكدت الدعوة إلى الحفاظ عليها، ورعاية مقتضياتها إلا أنَّها تُعَدُّ تراثاً اجتماعياً وحضارياً لمجتمعاتنا، بحيث كان العرب يمتازون بها حتى قال قائلهم:

نـاري ونـارُ جـاري واحـدةٌ ... وإليـه قَـبلي تنـزلُ القِـدرُ
مـا ضرَّ جـاري إذ أُجـاوره ... أن لا يكـون لبيتـهِ سـترُ
أعمى إذا مـا جـارتي خرجـت ... حتى يواري جـارتي الخـدرُ[٢].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٦٧.

(٢) البيتان لمسكين الدارمي. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الأمالي: ج٢، ص١٢٣.

وعلى أية حال، فيمكننا ذكر بعض السلوكيات والآداب التي تُعدُّ مظاهر لحسن الخلُق في هذا المجال بشكل مختصر. فمن ذلك:

١) المحاولة في فتح نوافذ التعرف على الجيران وذلك بالتودد إليهم وإلقاء التحية عليهم والمبادرة في فتح الحديث معهم ونحو ذلك. فليس صحيحاً أن يكون حال المرء مع جاره كحاله مع غيره، ليس بينهما أيُّ مواصلة أو مجاملة.

٢) الحرص على مشاركة الجيران في أفراحهم وأتراحهم وفسح المجال إلى أن يشاركوه أيضاً أفراحه وأتراحه، بتوجيه الدعوة إليهم في مناسبات ذلك.

٣) الاهتمام بأن لا ينال جاره منه إلا الإحسان، مهما كانت حال الجار. فليس لمن يريد أن يحافظ على أخلاقه وسمعته الطيبة إلا الصبر على أذى جاره السيئ، أو الانتقال من مكانه ولا يليق به مقابلة إساءاته بمثلها. وأفضل طرق التعامل مع مثل هذا الجار هو مقابلة إساءاته بالإحسان، والإصرار على هذا الطريق، فإنَّها طريقة النبلاء في التعامل مع مَن هو بحاجة إلى الإصلاح.

يُحكى أنَّ للإمام الحسن عليه السلام جاراً يهودياً، فتهالك جدار بين داريهما، فأخذت النجاسة تتسرب إلى دار الحسن عليه السلام واليهودي لا يعلم وفي يوم من الأيام دخلت زوجته إلى دار الحسن عليه السلام فرأت ما آل إليه الأمر، فأخبرت زوجها عن ذلك فقدم اليهودي على الإمام عليه السلام معتذراً، وعاتبه على عدم إعلامه بالأمر فأخبره عليه السلام بأنَّ من وصايا جده رسول الله صلى الله عليه وآله إكرام الجار. فما

كان من اليهودي إلا أن يدخل في الإسلام بسبب ما قابله به جاره من موقف نبيل[١].

٤) تفقُّد الجار والسؤال عنه إذا غاب.

٥) الستر عليه وعدم تتبع عيوبه ونصرته في غيبته بعدم السماح لمن يطعن به، وإن كان الطعن به لحساب مجاملتك من قبل الآخرين، والدفاع عنك بسبب سوء تصرفه معك مثلاً.

وعلى أية حال، فينبغي لكل واحد منا أن يجعل نفسه مصداقاً لقوله عليه السلام: «**عاشروا الناس عِشرةً إن غبتم حنُّوا إليكم وإن فُقِدتُم بكوا عليكم**»[٢] وأن لا يكون مصداقاً لقوله عليه السلام: «**شرُّ النَّاسِ مَن يتقيه النَّاسُ مخافةَ شرِّه**»[٣]. وسابقاً قيل: إنَّ الجوار يُباع كما يُباع العقار حتى قال الشاعر في ذلك:

يلومونني أن بعتُ بالرخصِ منزلي ... ولم يعلموا جاراً هناكَ ينغِّصُ
فقلتُ لهم كُفُّوا المُلامَ فإنَّما ... بجيرانها تغلو الديارُ وترخصُ[٤].

---

(١) أُنظر: المرعشي التستري، نور الله الحسيني، شرح إحقاق الحق: ج١١، ص١٢٢ نقلاً عن كتاب (نزهة المجالس ومنتخب النفائس): ج١، ص٢٣٨ طبعة القاهرة.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٥٩٥.

(٣) الآمدي التميمي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٠٥.

(٤) يُنسب البيتانِ للشريشي. الأب اليسوعي، لويس شيخو، كتاب (مجاني الأدب في حدائق العرب): ج١، ص٦٢.

٤ـ طلب العلم

تتأكد أهمّيّة حسن الخلق في طريق طلب العلم، سواء كان ذلك على مستوى الطالب أم الأستاذ والمعلِّم وسواءٌ كان ذلك على مستوى علوم الدين والأخلاق، أم كان على مستوى العلوم الأكاديمية والإنسانية الأخرى. فالعلمُ في جميع المجالات وكل المستويات نورٌ ما دام مقترناً بالخلُقِ الرفيع والنية الصادقة وإلا كان ظلاماً ووَبالاً على صاحبه وعلى الإنسانية ولقد صدق الشاعر إذ قال:

والعلـمُ إن لم تكتنفـهُ شـمائلٌ ... تُعليـهِ كـان مَطيَّـةَ الإخفـاقِ
لا تحسـبَنَّ العلـم ينفـعُ وحـدهُ ... مـا لم يُتَـوَّج رَبُّـهُ بخـلاقِ[1].

وفي طريق تحصيل العلم ـ ومجالات المناقشات العلمية والحوارات الفكرية ـ هناك صعوبات ومصايد للشيطان كثيرة، على مستوى التعامل مع الآخرين من زملاء وأساتذة وغيرهم فمظاهر المنافسة التي تسود أجواء المدارس ومعاهد طلب العلم قد تجرُّ الشخص إلى أن يتعكَّر مزاجه، فيسوء خُلُقُه مع الآخرين. وحلقات المناقشات والمحاورات العلمية تكون عادةً مشحونةً بالأخذ والردِّ، فيُدخِل المرء في مجال المشاحنات، وقد يجرُّه إلى أن يتصف بالمخاشنة وسوء الخُلُق.

---

(١) حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم: ص٢٨٠.

وهناك أخلاقياتٌ وأدبياتٌ خاصة للتعامل في ما بين مرتادي مجالس العلم والمدارس ومعاهد التدريس، ولهم مع الناس الآخرين كذلك وأُلِّفت في ذلك بعض المؤلَّفات قديماً وحديثاً، يمكن لمن يريد التوسّع مطالعتها، من قبيل منية المريد في آداب المفيد والمستفيد للشهيد الثاني. ولكن يحسن بنا أن نذكر أهمَّ ما يحتاجه المتعلِّم، من أخلاقيات التعامل وأدبيات السلوك، ممَّا يُعدُّ مصداقاً لحُسن الخُلُق:

١) التواضع وعدم الاغترار ببعض ما قد خصَّه الله به من مزايا في الفهم، أو الحصول على درجاتٍ عالية، أو وصوله إلى مرحلة عُليا. ويتأكد حُسن التواضع والاحتياج إلى الاتصاف به بلحاظ الأستاذ فيلزم للطالب أن يتواضع لأستاذه وليس عيباً أنْ يُبدي علامات الاحترام له في أقصى درجاتها، بل على العكس؛ فإنَّ ذلك يُضفي عليه بهاءً ويجعله مقبولاً ومميَّزاً بين رفقائه، ويفرض عليهم احترامه.

٢) أن يكون لطيفاً في مناقشاته لآراء الآخرين وفي إبداء آرائه، لا أن يكون متشنِّجاً فأُنظر إلى الأدب القرآني حينما يأمر النبيﷺ بدعوة الكافرين والمشركين للإيمان يقول له: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1] فبعد هذا لا يبقى مجال لأن يقول أحدُنا: إنَّ فلاناً يستحقُّ أن يُحتقر، أو يقابل بسوء خلق؛ لأنَّه على باطل، أو لأنَّ رأيه ساذج ونحو ذلك.

---

(١) النَّحل: آية١٢٥.

وهنا ينبغي الإشارة إلى ما نُعاني منه في وقتنا الحاضر، من انتشار فكرٍ وثقافةٍ تتنافى مع هذا الأدب القرآني، وتخالف سيرة أئمتناعليهم السلام بالدعوةِ إلى الدين الحنيف، أو المذهب الحقّ بلغةٍ جارحةٍ للمقابل يستند فيها أصحاب هذا التوجُّه إلى حججٍ من هنا وهناك، لا نريد وصفها إلا بأنَّها تتعارض مع صريح قوله تعالى في الآية آنفة الذكر: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[1] فإنَّه تعالى يخاطب نبيَّه الكريمصلى الله عليه وآله ويوجِّهه بأن يركِّز على المشتركات بينه وبين أهل الكتاب؛ لتكون المنطلق في الحوار، ومنْ ثمَّ بعد ذلك تتمُّ المناقشة في موارد الخلاف.

٣) أن لا يجعل الهدف من مناقشاته المراء وحبَّ الظهور؛ فإنَّ هذا مضافاً إلى ما فيه من مخالفة لصفاء النية وخلوصها، فهو يجرُّ الشخص إلى المشاحنة مع الآخرين، والدخول في المناوشات اللفظية، ويجعله سيِّئ الخلُق مع الآخرين ويؤدِّي إلى حصول العداوات وتنامي الأحقاد.

٤) أن يكون منصفاً مع الآخرين في النقاش مهما كان المقابل؛ فإنَّ هذا مضافاً إلى كونه مقتضى المروءة وحُسن الخلُق الممدوح في حدِّ نفسه فهو يفرض على المقابل غالباً أن يكون منصفاً معه أيضاً ويكون قريباً من الاقتناع أو الاقتراب من الحقيقة.

---

(١) آل عمران: آية٦٤.

٥) وأخيراً ينبغي لطالب العلم أو الباحث أن لا يتأثَّر بالأجواء المحيطة به، التي قد يسودها عدم الاحترام للآخرين، أو عدم الجدِّية في طلب العلم، أو البحث عن الحقيقة، أو التفاخر والتكبر على الآخرين، ونحو ذلك من الأمور التي قد ينجرف معها الشخص من دون أن يشعر بقبحها وخطورة ما تؤدِّي إليه ولا سيِّما في فترة المراهقة والشباب خصوصاً مع عدم وجود توجيهٍ ومتابعةٍ من الأهل ونحنُ نرى ونسمع بأنَّ واقع المدارس في أوقاتنا الحاضرة مأساوي من هذه الناحية فوصلت الأمور إلى أن يعامل الطالبُ أستاذَه معاملة النِّدّ للندّ وأن يحصل التفاخر بما يبدر من سوء أدبٍ وأن يتنافس الطلاب بسوء الخُلق ممَّا يستدعي أن يكون الأهلُ على قدر المسؤولية تجاه أولادهم ومجتمعهم، وأن يضاعفوا جهودهم في متابعة أولادهم وتنبيههم وتوجيههم.

٥ـ العمل

كلُّنا يعلم أنَّ للعمل أجواءه الخاصة، والتي تفرضها ظروف العمل وقواعده التي تبتني على مراعاة المصالح المادية للشخص أو المؤسسة التي تملك رأس المال مثلاً، بنحوٍ يجعل الأولوية لذلك على كثيرٍ من الحقوق الشخصية للعاملين أو سُبُل راحتهم ممَّا يشكِّل ضغوطاً على العاملينَ ويعكِّر مزاجهم، وقد يغيِّر بعضاً من طباعهم. خصوصاً إذا ما أضفنا إلى ذلك ما يسود تلك الأجواء من مظاهر المنافسة المشروعة وغير المشروعة بين العاملينَ أنفسهم، وما يستتبع ذلك من مزاحمات ومضايقات.

ولهذا فتكون هناك حاجةٌ مُلِحَّةٌ إلى الالتفات إلى تلك الأجواء، وعدم الانجرار معها بدون شعور كخطوة أولى للحذر من الوقوع في الفخّ، وممارسة نفس الأدوار الشائنة التي يمارسها الكثير من الناس للأسف الشديد؛ بحجة المحافظة على الحقوق الشخصية تارةً وردِّ تعدِّيات الغير وشرورهم أخرى ومجاراة ما هو شائع وسائد، وكما يقال: حشرٌ مع الناس عيدٌ ثالثةً وهكذا.

ثمَّ يأتي ـ بعد هذا الالتفات ـ دورُ التأكيد على الاتصاف بحُسن السلوك وأدبيات التعامل مع الآخرين؛ فإنَّ في ذلك فوائدَ جمَّة للشخص نفسه قبل غيره وتعود النتيجة بالإيجاب على الجميع، وحتى على نتائج العمل ومكاسبه.

ولا تختلف مظاهر حُسن الخُلُق في العمل عن غيره من المجالات إلا أنَّها تتأكَّد فيه كما عرفت آنفاً. فالحاجةُ إلى الصدق والوفاء والإخلاص في العمل والرفق بالناس ولا سيِّما الضعفاء منهم والحياء والإنصاف ونحو ذلك تتضاعف. نعم هناك بعض الخصوصيات في هذا المجال تفترضها طبيعة الظروف في العمل، كوجود مديرٍ أو مسؤولٍ وتحته موظفون درجتهم الوظيفية أقلّ منه ولا بأس بالإشارةِ إلى بعضها:

أهمّ مظاهر حُسْن الخُلُق في مدير العمل

١) التواضع فإنَّ التواضع يزيد صاحبه رِفعةً[1]. وهو خُلُق لا يتمتع به إلا الشخص الناضج الذي يمتلك نفسية كبيرة.

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٢١.

ملأى السـنابل تنحنـي بتواضـعٍ والفارغاتُ رؤوسهنَّ شوامخُ[١].

وللمتواضع تأثير عظيم على الآخرين فيكون له مقبولية لديهم فيكسب بتواضعه قلوب الناس ويفرض عليهم احترامه خصوصاً إذا كان له اليد العليا عليهم، كما هو الحال في المدير.

٢) الرفق بالآخرين فإنَّ الرفق ما وضع على شيء إلا زانه ولا نُزع عن شيءٍ إلا شانه[٢]. والناس إذا وجدوا شخصاً يعاملهم بلطف ورفق أحبّوه وأعانوه، ولا يتركونه حينما تتعسَّر الأمور عليه وهذا معنى ما ورد في الحديث من: «**إنَّ في الرفق الزيادة والبركة ومن يُحرم الرفق يُحرم البركة**»[٣].

٣) الإنصاف والعدل فكما عرفت[٤] أن الإنصاف سيد الأعمال، فتتأكد الحاجة إليه في مَن يتصدَّى للإدارة فليس صحيحاً أن يطلب المدير أو مسؤول العمل من الموظف أو العامل أموراً هو نفسه لا يصنعها أو لا يقدر عليها لو

---

(١) يعد هذا البيت من الحكم الشهيرة التي يكثر ترديدها عند الاستشهاد على أنَّ التواضع نابع من نفسية كبيرة وناتج عن شخصية مرموقة، على العكس من الكِبَر والعُجب؛ فإنَّه يعبر عن ضعف في الشخصية. ولكنه إما يكون من دون نسبة لأحد أو مع نسبته إلى المتنبي تارة وإلى الشاعر السوري عمر أبو ريشة تارة أخرى، وعند مراجعتنا لديواني الشاعرين لم نجد له أثراً فيهما.

(٢) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١١٩.

(٣) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج٤، ٤٦٣.

(٤) في الفصل الثاني تحت عنوان (الإنصاف والعدل).

كان مكانه. وليس جميلاً أن يقابل مَن هو دونه بالعمل بما لا يحبُّ أن يقابله به مَن هو أعلى منه في مراتب الوظيفة من سلوك وتصرفات.

ويدخل في الإنصاف هنا أن يكون المدير أو المسؤول في العمل مخلصاً مع مَن هو دونه في الوظيفة أو العمل في التوجيهات والإرشادات وأن يفيده بما حصل له من خبرات في مجال عمله وأن لا يبخل عليه بشيءٍ في هذا المجال. هذا بلحاظ الإنصاف.

وهكذا العدالة بين المرؤوسين شيء ضروري لا بدَّ من مراعاته والمحافظة على مقتضياته بدقَّة فالموظفون إن شعروا بعدم العدالة في التعامل معهم تظلَّموا وتثاقلوا بالعمل، وانشغلوا عن الإنتاج بالأمور الجانبية؛ بسبب شعورهم بالغبن.

ولكن ينبغي الالتفات إلى أنَّ العدل لا يعني أن يكون التعامل بين العاملين على حدٍّ سواء وإنما يكون بإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه فمعاملة الموظف المجدّ في عمله بنفس معاملة الموظف المتكاسل ليست من العدالة في شيء، بل هذا هو عين الظلم.

٤) الاهتمام بالموظفين أو العاملين ورعاية أحوالهم، سواء التي تتعلق بعملهم ومحيطه؛ فإنَّ ذلك يدخل في دائرة واجبات مدير العمل أو مسؤوله أم كانت تتعلق بحياتهم الشخصية الاعتيادية، كالتواصل معهم في المناسبات الاجتماعية، وتهنئتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أحزانهم، وإشعارهم

بالاهتمام بهم فإنَّ هذا هو مقتضى المروءة والخلق الحسن الذي ينبغي أن يتحلَّى به المتصدي لأي موقع من مواقع المسؤولية أكثر من غيره.

أهمُّ مظاهر حُسنِ الخلق في العاملين

١) احترام مديرهم أو المسؤول عنهم في العمل؛ فإنَّ هذا ـ مضافاً لكونه من الواجبات التي يُثبتها عقد الوظيفة أو المعاملة ولو ضمناً في حقِّ الموظف أو العامل ـ يعد من مقتضى الإنصاف فلو فرض العامل نفسه مكان مديره أو مسؤول عمله، فهل يقبل أن يعامله الموظفون أو مَن هم دونه في العمل بعدم الاحترام مثلاً؟!

٢) الإخلاص في العمل؛ فإنَّه ـ مضافاً لكونه واجباً إلزامياً شرعاً وعرفاً ـ من أبرز أفراد إنصاف صاحب العمل.

٣) حفظ الأمانة وعدم الخيانة، سواء كان ذلك على مستوى الأمور المادية، كالمحافظة على الأموال والآلات ومعدات العمل مثلاً، أو على المستوى المعنوي والاعتباري، كحفظ أسرار العمل مثلاً.

٤) إنصاف زملائه وعدم استغلالهم في العمل، أو استغلال منصبه الوظيفي بالتعالي عليهم، أو تكليفهم بما هو ليس بواجب عليهم من الناحية الوظيفية.

٦ـ السفر والهجرة

لا يخفى على القارئ الكريم ما للسفر من فوائد تعود على الشخص فإنَّ فيه راحةً للنفس وزيادةً في الاطلاع على ما في البلدانِ والشعوب المختلفة من

ظواهر وعادات ولهذا نجد أنَّ لدى الشخصِ الذي أكثرَ السفرَ والترحالَ بين البُلدانِ في الغالب شخصيةً لطيفةً، وتراه يمتلك ثقافةً متنوعة وخبرةً نافعةً في الحياة. وقد ورد في الحديث النبويّ الشريف: «**سَافروا تصحُّوا**»[١].

وتتأكَّد في السفر الحاجة إلى التحلِّي بالأخلاق الحميدة وآداب السلوك والتعامل مع الآخرين؛ وذلك لأنَّ الصُّحْبة تطول فلعل الذي كنتَ تجالسه ساعةً أو ساعتين يُصانع معك، فيُخفي من سجاياه ونواياه ما يُخفي بينما في السفر سيطول وقت الصُحبة فيقضي جميع الوقت معك مضافاً إلى أنَّه تمرُّ على المسافرين ظروف مختلفة، وتقلباتٌ للأحوال متعدِّدة لا يستطيع معها الشخص التصنُّع وإخفاء ما كان يُخفي من أخلاقه وسجاياه ولهذا قيل: إنَّما سمِّي السفرُ سفراً لأنَّه يُسْفِر عن أخلاق القوم[٢] بمعنى: أنَّه يُظهرُ أخلاقهم. والمسألة واضحة لدى كلِّ مَن خاض غمار السفر مع رفقة ولهذا ورد في الحديث الشريف: «**الرفيقُ ثمَّ السَّفرُ**»[٣].

ولأجل هذا تتأكَّد الحاجة إلى التخلُّق بالأخلاق الحميدة، والتعامل مع الآخرين بالخُلُق الحَسَنِ أثناء السفر، بأن يساعدَ الشخصُ مرافقيه وأن يكون بهم رءوفاً، وبالتعامل معهم لطيفاً، وأن يستشيرهم في الأمور التي تخصُّهم

---

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٦٥.

(٢) أُنظر: الحمداني، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورَّام): ج١، ص٤٢.

(٣) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، مَنْ لا يَحضُرُه الفقيه: ج٢، ص٢٧٨.

جميعاً، كوجهةِ السفر، أو نوع وسيلة النقل أو نوع مأكلهم أو مكانه ونحو ذلك وأن لا يفرض رأيه عليهم، وإن كان رأيه مطاعاً لكِبَر سنِّه بالنسبة إليهم أو لغير ذلك بل وهكذا في الأمور التي هي تخصُّه ولكن قد تؤثر عليهم، كما لو أراد أن يفارقهم لبعض الوقت لشراء شيءٍ، أو إيصال أمانةٍ أُرسلت معه ونحو ذلك بل ينبغي له أَنْ يتحمَّل أذاهم إن كان هناك أذى منهم وأن ينصحهم إذا زلُّوا، ويمدحهم ويشجعهم إذا أحسنوا وأن لا يدخل مع أحدٍ منهم في لجاج أو أي شيءٍ يوجب النفور أو الخصومة والعداوة.

وباختصار: ليكُن الشعار في التعامل مع الآخرين في مثل السفر ما جاء في بعض روايات أهل البيت عليهم السلام: «**إن استطعت أن لا تُخالط أحداً من الناس إلَّا كانت يدك العليا عليه فافعل**»[1] بمعنى: أنَّه احرص على أن لا تُخالط الناس إلا إذا كنتَ أنتَ صاحبَ الفضل عليهم. وهذا في الحقيقة يتضمَّن أمرين:

الأول: يخصُّ اختيار الرفيق وأنَّه لا بدّ لك أن لا ترافق مَن يجد له عليك في التفضُّل سبيلاً، كما لو كان غنياً جدَّاً وكنتَ فقيراً أو ذا دخلٍ اعتيادي أو كان ذا منصبٍ وظيفيٍّ يجعله يرى له عليك فضلاً كما لو كنتَ موظفاً وهو مديرك مثلاً وهكذا.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٢.

الثاني: يخصُّ طريقة التعامل وذلك بأنْ تكون سبَّاقاً لفعل الخير وأن يصل منك إلى الرفقاء النفع والفضل.

وينبغي للشخص أن يلتفت إلى أنَّه حينما يُسافر فإنَّه لا يمثِّل نفسه فقط بل هو يحمل مسؤوليَّة إعطاء انطباع عن بلده أو مدينته أو شعبه أو دينه أو مذهبه فلا بدَّ له من مراعاة ذلك، والحرص على إعطاء صورةٍ ناصعةٍ عن بلده أو قومه أو معتقده.

يروى أن أمير المؤمنين صاحب في بعض أسفاره رجلاً نصرانياً فسأله النصراني عن وجهته فأجابه عليه السلام بأنَّه ذاهبٌ إلى الكوفة ثمَّ وصلا إلى مفترق طريقين فعدَل النصراني عن طريقهما الذي كانا يسيران عليه ذاهباً إلى وجهةٍ أخرى غير الكوفة فعدَل أمير المؤمنين عليه السلام وسار معه فاستغرب النصراني، وسأله عن سبب عدوله عن طريق الكوفة التي كان يقصدها فأجابه عليه السلام بأنَّه يريد أنْ يُشايعه؛ وأنَّ ذلك كان مقتضى حُسْن الصحبة، وأنَّها من تعاليم النبيّ صلى الله عليه وآله فلمَّا رأى النصراني ذلك أسلمَ ورجع مع أمير المؤمنين عليه السلام [١]. فلاحظ ماذا صنع فعلُ الإحسان بهذا الرجل وهل ترى أنَّ تغيير المعتقد بتلك السهولة؟ ولو أن أحدنا بذل جهوداً جبَّارة في الحديث والنقاش أو استعمال القوَّة، فهل يمكن أن يصل إلى هداية شخصٍ بمثل هذهِ السلاسة؟

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٧٠.

وأخيراً ننقل بعضاً من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب، تيمناً بها وللاستفادة منها:

١) ما ورد عن الصادق عليه السلام من أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: «**ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهُما أجراً وأحبَّهُما إلى الله عزَّ وجلَّ أرفقهما بصاحبه**»(١).

٢) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ليس منَّا مَن لم يُحسن صُحبة مَن صحبهُ، ومُرافقة مَن رافقه، ومُمالحةَ مَن مالَحه، ومُخالقةَ مَن خَالقَهُ**»(٢).

٣) ما ينقله إمامنا الصادق عليه السلام من وصايا لقمان لابنه في حديثٍ طويل، ورد فيه كثيرٌ من الوصايا في هذا المجال ننقل بعضها: «**إذا سافرت مع قومٍ فأكثِر استشارتهُم في أمركَ وأُمُورهم، وأكثر التَّبسُّم في وجُوههم، وكن كريماً على زادك بينهُم، وإذا دعوك فأجبهم وإذا استعانُوا بك فأعنهم، واستعمل طول الصَّمت وكثرة الصَّلاة وسخاء النَّفس بما معك... وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل، وإذا تصدَّقوا وأعطوا قرضاً فأعطِ معهم واسمع لمن هو أكبر منك سنَّاً، وإذا أمروك بأمر وسألوك شيئاً فقل: نعم. ولا تقل: لا...**»(٣).

---

(١) المصدر السابق: ص٦٦٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٢٨٦.

(٣) الصدوق، محمد بن علي بن، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ٢٩٦.

٧ـ مواقع التواصل الاجتماعي

إذا كان الزمن الماضي القريب يسمَّى بزمن الكومبيوتر وما كان قبله بزمن الثورة الصناعية فلا نعتقد أنَّ هناك مَن يختلف معنا في أنَّ وقتنا الراهن هو زمن الإنترنت لشيوع ظاهرة استخدام هذه الشبكة على نطاق واسع جدَّاً وتأثيراته المباشرة على تفاصيل الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات بشكلٍ ملحوظٍ وبارز.

وإذا كان هناك ما يميِّز أيامنا هذهِ في هذا المجال فهو الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي الذي حلَّ ضيفاً ثقيلاً على حياتنا بلا استئذانٍ، وفرض نفسه كوجهةٍ أساسية لاهتمامات الكثير منَّا وشرع بسرقةِ الكثير من أوقاتنا واختطاف الكثير من أبنائنا وبناتنا وهدم أغلب الأواصر التي كانت تربط بعضنا ببعض، كالعائلة والعشيرة والشعب الواحد.

وإذا كان هناك ما يُعدُّ فائدةً وأثراً طيباً لوجود تلك المواقع في حياتنا ممَّا لا يُمكننا إنكاره فإنَّ نظرةً بسيطةً لواقعنا بعينٍ منصفةٍ تُرشدنا إلى أنَّ تلك المخاطر التي تحفُّ استخدامها تفوقُ ما نحصل عليه من فوائد منها.

ولكي لا يُصنَّفَ كلامنا هذا على أنَّه دعوة لَمن له سلطة وقدرة على حجبها ليحجبها عن الجمهور، أو أنَّه دعوة منَّا للجمهور؛ لكي يهجروا استخدامها فنحنُ نُسارع في التصريح باعترافنا: بأنَّ هذا وذاك هو أمرٌ غير واقعي ولو كان هذا مرادنا فسيكون ـ بمجرَّدِ ملاحظةِ الواقع ـ مجرَّدَ كلامٍ

مرسومٍ على الورق، لا يصل إلى مستوى التصور، فضلاً عن إدراكه والتأمل فيه أو إمكان تطبيقه.

وإذا ضممنا إلى ما ذكرناه عدمُ وجود قوانين تضبط استخدامات الناس لقنوات ومنابر تلك المواقع وأحكام جزائية للمخالفين سوف تبرز حاجتنا الملحَّة إلى التأكيد على الالتزام الشخصي والمجتمعي بآداب التخاطب والتحلِّي بحُسن الخُلُق في هذه الساحة الجديدة التي فُرِضَتْ علينا. والخطوة الأولى في هذا المجال ينبغي أن تكون هي توعية الناس، ولا سيِّما الشباب ـ على اعتبار أنَّهم يمثلون غالبية المستخدمين لهذه المنصات ـ حول مخاطر الانسياق غير المحسوب مع هذا التيار الجارف الذي يعصف بالمجتمعات ويهدم روابطها ويُذيب خصوصياتها وتوضيح مفهوم الحريَّة الشخصية الذي يتشدَّق به أرباب هذه المواقع، متوهِّمينَ أنَّه لا حدَّ له، وأنَّه مقدَّم على كلِّ حقيقةٍ تتقاطع معه والحق أن هذه الحقيقة لا يرتضيها كلُّ واحدٍ منهم قبل غيره وهل يرضى أحدُهم أن نحطِّم ممتلكاته الشخصية إعمالاً لحريّتنا الشخصية أو أن نتهجَّم عليه ونحاول تسقيطه أمام الآخرين على اعتبار أنَّ هذا هو خيارنا وأنَّنا أحرار في خياراتنا؟! فإذا كان لا يرضى بذلك ـ وهو لا يرضى قطعاً ـ فكيف يرتضي أن يساهم في هدم أواصر العائلة والمجتمع أو ببثِّ بذور الفساد الأخلاقي ونشره في المجتمع أو يُسهم في تذويب خصوصيات ثقافة مجتمعه أو تسفيه معتقداته متَّكئاً في كل ذلك على وسادة الحريَّة الشخصية وأنَّ لكلِّ شخصٍ أن يفعل ما يشتهيه ويريده؟!

وبعد ذلك يأتي دور التخلُّق بالأخلاق الفاضلة، وتوجيه الناس ـ ولا سيِّما أولادنا ـ إلى أهمّيّة التحلّي بحُسن الخلُق عند الولوج في قنوات مواقع التواصل الاجتماعي حيث تبرز الحاجةُ إلى التحلِّي بالصدق والإنصاف واحترام الآخرين والرفق بالناس والحياء ونحو ذلك.

ولعلَّ أهمَّ سببٍ وراء تسابق مرتادي تلك المواقع في مخالفة تلك الأخلاق الفاضلة هو عدم وجود الرقابة، وعلمهم بعدم معرفةِ المقابل بأشخاصهم، أو عدم إمكان وصولهم إليهم وإلا فلماذا لا نجد مثلَ تلك الخروقات الصريحة عندما نتلاقى في الطرق والأسواق وسائر الأماكن العامة فتجد أفراد المجتمع في تلك الأماكن يحافظون ـ على مستوى التعامل في ما بينهم ـ على مقدارٍ مقبولٍ من المجاملات ومظاهر الاحترام ويحافظون على مقتضيات اللياقة وحُسن التعامل مع الآخرين بينما تراهم أنفسهم ينسلخون عن تلك المظاهر حينما يرتادون منصات تلك المواقع في العالم الافتراضي؟! إنَّ هذا في الحقيقة لَهو نوعٌ جديد من النفاق ينبغي لِكلِّ مَن يحترم نفسه ويترفَّعُ بها عن التمرُّغ في وَحْل النِّفاق أن يلتفتَ إليه ويبتعد عنه فيُحافظ ـ في تعاطيه مع الآخرين في ذلك العالم الافتراضي ـ على الأقل على المستوى الأدنى المقبول من المجاملات التي نستعملها في تعاملاتنا مع الآخرين في عالمنا الواقعي الحقيقي وإلا فلن يكون هو بمعزل عن الآثار السيِّئة المترتبة على الاستخدام الفوضوي لتلك المنصات الافتراضية وما ينالُ الآخرين من سخريةٍ أو عدم احترام أو تعدٍّ على حُرمةٍ أو عِرضٍ ونحو ذلك سيناله بلا ريب وما يطال

عوائل الغير من تهتُّكٍ واستهتارٍ بالقِيَمِ التي تنشأ في ضوئها العائلة المستقرة السعيدة سيطال عائلته بلا شك. والتمزُّق في الأواصر التي تربط المجتمع الواحد والشعب الواحد وما يستتبع ذلك من تناحر أو عداء سيُصيبه شرُّه من دون أيِّ ارتياب. والسخرية من المعتقدات أو محاولة التشكيك بها وما يستتبعه من تنشئةِ جيلٍ خالٍ من كلِّ ما يمتُّ للقيم والمبادئ الأصيلة لن يكون بمأمنٍ منه.

ولهذا كلِّه فلا بدَّ من ثورةٍ مضادَّة، تستهدف وقف هذا التيار الجارف من الانحدار الأخلاقي، والمحافظة على ما يمكن المحافظة عليه من تراثنا الأخلاقي الحافل وإرثنا الغني من الأعراف الأصيلة، يتصدَّى لها كلُّ مَنْ له قدرة على ذلك فالكلُّ راعٍ ومسؤول عن رعيته ولا سيما النخب من الأفراد والمؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية. ويكون ذلك على مستويين:

المستوى الأول: المستوى التطبيقي على المستوى الشخصي للأخلاق الفاضلة والالتزام بمقتضيات الخلق الحسن والآداب العامة لسلوكيات التعامل مع الآخرين مهما كانوا. وإذا كان الالتزام بذلك وإلزام النفس به سهلاً في بدايات الأمر فإنَّه سيكون أصعب من ذلك مع مرور الوقت خصوصاً وأنَّ الأجواء العامة في تلك المواقع والمنصات تزخر بالمخالفات الصريحة لتلك الخلقيات والآداب ولا سيما أنَّ نشاطاتها تفاعلية تعتمد على المناقشات والمجادلات والتجاذب في ما بين الأطراف؛ مما يساعد على الانجراف مع تلك الأجواء، واستدراج الشخص من حيث يشعر أو لا يشعر

للدخول في مناوشات السباب والتسقيط والتشهير؛ مما يجعل عدم الغفلة والالتفات إلى خطورة الأمر وتذكير النفس بما يلزم المحافظة عليه من أخلاقيات وآداب مهما كان الظرف أمراً ضرورياً. وإذا وجد أحدنا أنَّ الحفاظ على اتزانه وأخلاقه أمراً صعباً أو مستحيلاً، ودار الأمر بين أن يحافظ على أخلاقه وحسن سلوكه، وبين أن يترك نشاطاته في مواقع ومنصات الشبكة العنكبوتية، فليكن خياره المحافظة على أخلاقه بكل تأكيد فإنَّها تمثِّل المقوِّم الأساسي لشخصيته.

المستوى الثاني: المساهمة في توعية الناس ـ ولا سيما الشباب ـ واطلاعهم على مخاطر الاستعمالات الخاطئة لأدوات الشبكة العنكبوتية، وما يرافقها من مخاطرة بأعزّ ما يملكه الإنسان وهو أخلاقه التي تمثِّل صورته المعنوية، وتعبر عن واقع شخصيته والواجهة التي يقابل بها الناس وتوجيههم باستمرار إلى الطرق الصحيحة لاستخدامات منصات التواصل الاجتماعي بالشكل الذي لا يتقاطع مع المحافظة على أخلاقياتهم وتثقيفهم حول أولوية أن لا يضحُّوا بأخلاقياتهم مهما كان الظرف ومع أي شخص كان.

وقد ذكر المؤرخون: أنَّ بني العباس حينما استولوا على الخلافة ـ وقتلوا أكثر بني أمية، وشرَّدوا الباقي ـ كان المنصور العباسي في الحج وعُرض عليه جوهر ثمين على أن يشتريه، فتعرَّف المنصور على الجوهر، وعلم أنَّه كان لهشام بن عبد الملك الأموي، وأنَّه آل أمره إلى ابنه محمد فعلم من ذلك أنَّ محمداً الأموي هذا موجود في تلك الديار فأمر بعض عماله بإغلاق جميع أبواب

المسجد الحرام بعد الصلاة إلا باباً واحداً، ويستعلم حال كلِّ خارج منه، فإذا عُثر على محمد بن هشام بن عبد الملك قبض عليه. وفعلاً حصل ذلك وحوصر مَنْ في المسجد فعلِم محمد بن هشام أنَّه هو المطلوب، فبانَ عليه الارتباك، وبدَت على محيَّاه أمارات الخوف فكان محمد بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين عليهما السلام موجوداً هناك، فلاحظ ارتباك الرجل فسأله عمَّن يكونن وأعطاه الأمان في أن يستره والضمان في أن يخلصه فعرَّفه محمد بن هشام بنفسه وسأله عمَّن يكون هو فقال له: أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين فيئس محمد بن هشام وتيقن أنَّه سيفضحه، وقال: فعند الله أحتسب دمي إذن فإنَّ أباه ـ هشام بن عبد الملك ـ هو الذي قتل زيداً الشهيد والد محمد بن زيد وأحرق جثته. فبادر محمد بن زيد الشهيد إلى تطمينه وقال له: لا بأس عليك؛ فإنَّك لستَ مَن قتل أبي. وذكر له أنَّ الأليق به هو أن يخلصه لا أن يسلمه لجند المنصور العباسي. وطلب منه أن يعذره على بعض التصرفات التي ستصدر منه معه في سبيل تخليصه من تلك الورطة فوضع رداءه على وجهه وجرَّه، وأخذ يلطمه بمرأى من عامل المنصور العباسي، وقال له: إنَّ هذا الخبيث أكراني جماله على أن يوصلني إلى مكة ثم يرجعني إلى الكوفة، ولكنَّه هرب مني وأكرى جماله لغيري، وعندي بيّنة تُثبت ذلك. فأمر عامل المنصور اثنين من الحرس ليصحباهما إلى القاضي فما أن خرجوا من المسجد حتى قال له: أتُعطيني حقي الآن؟ فقال له ابن هشام: نعم. فأطلق سراحه وخلَّصه من المنصور فأقبل محمد بن هشام يقبّل يد محمد بن زيد الشهيد، ودفع إليه جوهراً

ثميناً كان معه فقال له محمد بن زيد: إنَّا أهل بيت لا نقبل على المعروف مكافأة، وقد تركتُ لك أعظمَ من هذا، تركتُ لك دمَ زيد بن علي، فانصرف راشداً[١].

فلاحظ كيف حافظ محمد بن زيد الشهيد على مقتضيات المروءة ولم يتخلَّ عن خلُقه الحسن تحت ضغط غريزة حبّ الانتقام وفي ظرف يعدُّه كثيرٌ منَّا مثالياً للانتقام، وأخذ الثأر من أحد أبناء قاتل أبينا فاستحقَّ بذلك أن يخطَّ أسطراً من ذهب في صفحات التأريخ.

ولكن للأسف حينما نُجيل أبصارنا في ما يُنشر في مواقع الإنترنت ومنصات التواصل نجد السباب والقذف والتشهير بوفرةٍ، ومظاهر سوء الخُلق هي السائدة وحينما تعاتب مَن يمكنك أن تعاتبه على ما يبدر منه من سوء خُلُق يُجيبك بحجج واهية، من قبيل أنَّه يُجاري الآخرين بلغتهم أو بأنَّه وجَّه كلامه لَمن يستحقه ممن خالفه في الرأي أو العرق أو الدين أو المذهب مثلاً!

---

(١) أُنظر: التنوخي، الحسن بن أبي القاسم، الفرج بعد الشدَّة: ج٢، ص٢٠٠.

الفصل الخامس

حُسن الخُلُق وسوؤه .. الآثار والتداعيات

الفصل الخامس: حُسن الخُلُق وسوؤه... الآثار والتداعيات

الإنسان يميل إلى الاجتماع والاختلاط بالآخرين بشكل مُلِحٍّ، حتى قيل في سبب تسميته بهذا الاسم بأنَّه مشتق من الأُنس الذي هو ضد الوحشة[1]. ولكنَّه بالرغم من ذلك تجده في بعض الأحيان يميل إلى اعتزال الناس واختيار الوحدة؛ بسبب افتقاد المجتمع للأخلاق الحسنة، وافتقاره لحُسن السلوك وآداب التعامل مع الآخرين.

مَـــن حَمَـــد النـــاس ولم يُـــبلِهم ثـــمَّ بلاهـــم ذمَّ مَـــن يَحمـــدُ
وصـــار بالوحـــدةِ مستأنســـاً يوحشـــه الأقـــربُ والأبعـــدُ[2].

فصحيح أنَّ الحاجة إلى العيش وسط الناس والاختلاط بهم ملحَّة وتضغط على الإنسان بشدَّة ولكن شرط الاستجابة إليها والانقياد معها بمخالطة الناس أن تكون الأجواء السائدة في المجتمع مناسبة تنتشر فيها مظاهر حُسن الخُلُق والأدب الرفيع. فأهمّيّة حُسن الخلق إجمالاً تتجلَّى بهذه الحقيقة.

---

(١) أُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب: ج٢، ص٥.

(٢) البيتان لابن أبي الدنيا. ابن الملقن الأنصاري، عمر بن علي بن أحمد، التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ج٢٩، ص٥٦١.

وقد عرفت أهمّيّة حُسن الخُلُق في الإسلام[١] وكيف أنَّه اهتم به وحثَّ على الاتصاف به حتى وصل الأمر إلى جعله هو والتقوى من أكثر الأمور التي يدخل بسببها المسلمون الجنَّة[٢]. وورد في الحديث النبوي الشريف: «**إنَّ حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة**»[٣]. وما كانت هذه الأهمّيّة تثبت لحسن الخلق لولا أنَّ له آثاراً عظيمة على الفرد والمجتمع كما أنَّ لسوء الخُلُق في المقابل تداعياتٍ وآثاراً سلبية على الفرد وعلى المجتمع أيضاً. فيجدر بكلِّ أحدٍ الاطلاع عليها أو الالتفات إليها ليكون ذلك حافزاً على السعي؛ ليكون الشخصُ حسَنَ الخُلُق، وليبتعد عن كلِّ ما يوصف بأنَّه خلُق سيّئ؛ ولهذا عقدنا الكلام هنا في هذا الفصل في الآثار والتداعيات المذكورة وسيكون الحديث في الأساس عن الآثار الإيجابية لحُسن الخُلُق على أن نتعرَّض إلى ما يقابل ذلك من آثار سلبية مترتبة على سوء الخلق ضمناً؛ بُغية الاختصار وعدم حصول التكرار.

ثمَّ إنَّ تلك الآثار التي تتحقق بسبب حُسن الخلق أو سوئه تارةً تنعكس على المجتمع ككل وأخرى تثبت للفرد بخصوصه. ولهذا فنحن سنفرد لكلِّ واحدٍ من هذينِ النوعينِ عنواناً مستقلاً وستكون البداية مع الآثار المتحققة بلحاظ المجتمع.

---

(١) وذلك في الفصل الأول.

(٢) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٤٩٨.

ثمرات في واحة المجتمع

ربما أمكننا التمثيل للمجتمع بالأرض الخصبة التي يُثمر ما يُزرع فيها بلا شك فإن غُرست فيها أشجار مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب أثمرت كلَّ ما لذَّ وطاب وكان ذا نفعٍ وفائدة وإن زُرع فيها النبات الخبيث المتمثل بمساوئ الأخلاق لم تُنتج إلا السموم وكلَّ ما كان مضرَّاً. والفوائد والثمرات التي يحصل عليها المجتمع في ما لو سادت مظاهر حُسن الخلق أجواءه وهكذا المساوئ والأضرار التي تحصل في ما لو سادت أجواءه مظاهر سوء الخلق. ولكن لا بأس بالتعرض إلى أهمِّ تلك الآثار والعواقب، وهي:

١. **تقوية أواصر المجتمع ودعم اللُّحمة المجتمعية:** فإنَّه إذا ساد المجتمع التعاملُ على وفق مبادئ حُسن الخُلُق وما يفترضه من احترامٍ وتودُّدٍ ورفق وإنصاف ونحو ذلك؛ فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى شيوع مشاعر المحبَّة أو على الأقل انتشار مظاهر المجاملة وتبادل الاحترام والتعامل على وفق مقتضيات لياقات التعامل وهذا يعدُّ أيضاً ظاهرةً جيدة على مستوى المجتمع ككل؛ فإنَّ نفس شيوع مثل هذه المظاهر في المجتمع ومع غضِّ النظر عن الدوافع والنوايا هو شيءٌ جيد، ويوصل ـ على الأقل ـ إلى أن لا تكون هناك عداوات وخصومات أو مشاحنات ومزاحمات قد يؤدِّي تراكمها إلى تفكك أواصر المجتمع الواحد. هذا مضافاً إلى أنَّ شيوع هذه المظاهر واستمرار المجتمع في نهجها يؤدِّي مع مرور الوقت إلى ما يُرجى من تآلف القلوب وتحقق المحبة بين أفراد

المجتمع وفئاته أو طوائفه المختلفة؛ ولهذا فقد ورد في الحديث أنَّ حُسْنَ الخُلُقِ مَجْلَبَةٌ للمودَّة[١].

وفي المقابل من ذلك فإنَّ شيوع مظاهر سوء الخلق في المجتمع يؤدِّي إلى خلقِ مجتمعٍ تسوده الغلظة وتنعدم أو تقل فيه مظاهر التآلف والتودُّد فتكثر فيه المشاحنات، وقد تؤدي إلى تحقق الكراهية بين الأفراد أو الطوائف والفئات؛ ممَّا يؤدِّي إلى تفكك الأواصر التي تربط بين أفراد أو طوائف المجتمع الواحد.

٢. **المساهمة في ارتقاء المجتمع**: فإنَّ المجتمع إذا كان متسامحاً تنتشر فيه مظاهر الرفق والتودُّد واحترام الكبير والرأفة واللطف بالصغير، والمبادرة إلى مساعدة مَن يحتاج إلى المساعدة، ونحو ذلك من مظاهر حُسن الخُلُق والسلوك فلا شكَّ في أنَّه سيكون مجتمعاً خالياً من الأمراض المعنوية التي تمثِّل عقباتٍ أمام تطور المجتمع وتعطِّل كثيراً من خطوات التقدُّم.

وبالعكس من ذلك تماماً إذا ما كانت مظاهر سوء الخُلُق، من جفاءٍ وشِدَّة، وعدم احترامٍ للكبير، وقسوةٍ على الصغير، وشيوع الأنانية، وحبِّ الذات ونحو ذلك هي السائدة في المجتمع؛ فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى تنامي روح الاستئثار والتزاحم على المكاسب الشخصية، والانشغال بالحفاظ عليها على

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٧.

حساب التفكير بالأهداف العامة والمصالح العليا للبلد أو المجتمع والخطوات التي تتكفل بالوصول إليها.

ونظرة بسيطة إلى أي دائرة مجتمعية صغيرة أو كبيرة كالعائلة أو الدائرة الحكومية ـ مثلاً ـ تدلُّنا على ما أشرنا إليه فإذا كانت تشيع في الدائرة أو المؤسسة مظاهر المشاحنات والمزاحمات بين أفرادها ترى أنَّ هناك خللاً في تمشية الأعمال فيها وبالتالي في حصيلة نتاجها وبالعكس من ذلك إذا كان السائد في أجوائها مظاهر الودّ والتفاهم ومظاهر حسن الخلق وآداب السلوك والتعامل. وهكذا لو عمَّمنا النظر إلى الشعوب المختلفة فإنَّك ستجد أنَّ الشعوب المتقدمة على المستوى الحضاري والإنتاجي ملتزمةً أكثر من تلك التي هي دونها في التقدم بتلك المظاهر. وقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام: «**البرُّ وحُسْنُ الخُلُق يعمران الدِّيارَ ويزيدانِ في الأعمار**»[1]. والسبب في ذلك واضح فمضافاً لما ذكرناه، من أنَّ شياع تلك المظاهر يقلِّل من المشاكل والمشاحنات التي تعرقِّل السير نحو التطور والرِّقي فإنَّه سيكون سبباً في دعم الشعور بالراحة النفسية عند الأفراد ونشر النظرة الإيجابية للأمور لديهم والتي تساهم في أن يكون الفردُ إيجابياً ومُنتجاً وبنَّاءً في مجتمعه.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٠.

بل يمكننا القول: بأنَّ الالتزام بمظاهر حُسن الخلق هو بنفسه مَظْهرٌ واضح من مظاهر تقدُّم المجتمع ورقيِّه وليس هو مجرَّدَ طريقٍ لتحقيق ذلك. ونحن كثيراً ما نصفُ مجتمعاً معيَّناً بأنَّه راقٍ لمجرَّدِ أن نشاهد فيه بعض مشاهد حُسن الخُلُق والسلوك.

٣. الحفاظ على شخصية المجتمع وحماية تراثه الأخلاقي والعرفي الخاصِّ به: فإنَّ لكلِّ مجتمعٍ مجموعةً من القيم والآداب والأعراف الخاصة به، تُطبَّق وتُمارس في تعامل الأفراد في ما بينهم، وتمثِّل الجزءَ المهم من شخصية المجتمع[١]. ونحنُ نعيش في وقت العولمة أو ما يُعبِّر عنه بعضهم بعصر صراع الحضارات ومن المشاهد في عصرنا هذا أنَّ هناك مساساً بخصوصيات المجتمعات فمع غضِّ النظر عن كون ذلك مقصوداً أو غير مقصود فإنَّه واقعُ حالٍ ملموس؛ فإنَّ تطور وسائل النقل والاتصالات ولا سيما على مستوى الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) خلق انفتاحاً على الشعوب والمجتمعات الأخرى وبنى جسوراً في ما بينها وهكذا التنقُّل في البلدان والهجرة إليها ومن ثَمَّ التواصل مع المجتمع الأصلي للمهاجر أو العودة إليه كلُّ ذلك ساهم في تذويب خصوصيات المجتمعات وهاجم أعرافها وتراثها من الأخلاق وأدبيات السلوك.

---

(١) على اعتبار أنَّ هناك أموراً أخرى تتحدَّد بها هوية المجتمع وتتبلور بها شخصيته، من قبيل اللغة وشكل ملابسهم ونحو ذلك.

ونحنُ نعرف أنَّ مظاهر حُسن الخُلُق وأدبيات السلوك وأعراف التعامل مع الآخرين تختلف من مجتمعٍ لآخر فبينما تجد أنَّ المتعارف في إلقاء التحية في بعض المجتمعات هو بالإيماء بالرأس أو باليد تجدها في بعضها الآخر تكون بالمصافحة وفي بعضها تكون بالاحتضان أو التقبيل وإبداء الاحترام من قبل الجالس للقادم يتحقق في بعض المجتمعات بمجرد الترحيب القولي به بينما في بعضها الآخر ـ كما في مجتمعاتنا الشرقية ـ يكون بالقيام له ولو بقي أحدنا جالساً عندما يُقبل أحد عليه ويقصده لَفهِم أنَّنا لا نحترمه ولا يشفع لنا مجرد إلقاء عبارات التحية والترحيب أثناء الجلوس وهكذا. وهناك بعض الأخلاقيات والسلوكيات تجدها في بعض المجتمعات دون بعضها الآخر كالقيام للمرأة لتجلس في مكان الرجل في وسائل النقل، كالسيارات والقطارات مثلاً فإنَّ هذا شيءٌ متعارفٌ في مجتمعنا مثلاً ولكنَّه قد يكون غير متعارف في بعض المجتمعات الغربية على ما يُنقل.

فالالتزام بمظاهر حسن الخُلُق يسهم في بقاء ذلك التراث الأخلاقي والسلوكي الذي يشكِّل العمود الفقري لشخصية المجتمع، ويعدُّ ركناً أساسياً في تحديد هويته. وسابقاً قيل:

وإنَّما الأُممُ بـالأخلاق مـا بقيـت ... فإن هم ذهبت أخلاقُهُم ذهبُوا[1].

---

(١) البيت لأحمد شوقي. شوقي، أحمد، ديوان الشوقيات: ج١، ص٢٠.

وعلى العكس من هذا إذا ما عزف المجتمع عن تلك الأخلاق والأدبيات، أو تسرَّبت إلى سلوكياته أخلاقيات وسلوكيات المجتمعات الأخرى بشعورٍ أو من دون شعور؛ فإنَّ هذا سيؤدِّي بالتالي إلى التضحية بأهمِّ خصوصيات مجتمعنا كما هو واضح.

ومن أشكال الازدواجية الغريبة التي يعيشها البعض أنَّك تجد هناك مَن يدَّعي بالوطنية ويتعالى صوته بشعاراتها وقذف الآخرين بالعمالة والخيانة لوطنه وشعبه وحينما تصل الأمور إلى هذا التراث الأخلاقي والسلوكي والعرفي يتنازل عنه وينحى بسلوكه وربَّما بقوله أيضاً نحو التشبُّه بالمجتمعات الأخرى، وتقليدها بأعرافها وأخلاقياتها وسلوكياتها وكأنَّ الحرص على خصوصيات الوطن أو الشعب انتقائيةٌ بأنْ تكون تابعةً لاختياراتهم وقناعاتهم الشخصية!!

٤. **تزيين صورة المجتمع وصيانة سمعته في المجتمعات الأخرى**: فإنَّه إذا كان المجتمع تسوده مظاهر حُسنِ الخُلُق لدرجةٍ تجعل القادم من بلدٍ آخر مثلاً يشعر بذلك فإنَّ ذلك سيساهم في الحفاظ على صورة هذا المجتمع وبلده بحيث يُشار إليه بهذه الصفة السائدة. وهذا شيءٌ محسوس كثيراً ما نرتكبه نحن أيضاً، فبمجرَّد أن يُذكر البلد الفلاني نُشير إلى حُسنِ سلوك شعبه وودِّهم وحُسنِ تعاملهم مثلاً والعكس بالعكس أيضاً فربَّما وصل الأمر إلى أن يكون سوء التعامل وشيوع مظاهر سوء الخُلُق من العلامات الفارقة التي يشار بها إلى بعض البلدان.

ثمرات وفوائد على مستوى الفرد

وكما أنَّ هناك فوائد لشيوع مظاهر حسن الخلق تعود على المجتمع، فهناك أيضاً مردودات إيجابية لممارسة تلك المظاهر من قِبله تعود على الفرد ينبغي عدم إغفالها والتعرض لأهمها وهي:

١. **تكامل دين الشخص**: فقد ورد عن أئمة العصمة والطهارة عليهم السلام أنَّ مَن كان فيه أربع خصال فقد كَمُل دينه ولم ينقصه شيء وهي: الصدقُ والحياءُ وحُسنُ الخُلُقِ والشُّكرُ[١].

وأمَّا سوء الخُلُق، فهو بلا شكّ يمثِّل منقصةً في الدين فقد ورد في الحديث النبويّ الشريف: أنَّ حُسن الخُلُق نصفُ الدِّين[٢] فإذا حلَّ محلَّ هذا النصف من الدِّين سوءُ الخُلُق فالنقصان حاصل بكل تأكيد.

هذا مضافاً إلى أنَّ سوء الخُلُق هو في حدِّ نفسه من الذنوب التي عبَّرت عنها الروايات بأنَّها لا تُغفر[٣] وأنَّ صاحبه كلَّما خرج من ذنب دخل في ذنب[٤] فهو على هذا يكون من الذنوب التوليدية التي تكون ولَّادة لذنوب أخرى؛ وذلك لأنَّ تحقُّقَه في الشخص يكون بحصول سجيَّةٍ في النفس تتجلَّى

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٥٧.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الخصال: ص٣٠.

(٣) أُنظر: الكاشاني. الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج٥، ص٩٣.

(٤) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، مضن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٥٢.

في مظاهرَ عديدةٍ، كعبوس الوجه، وحِدَّة الطبع، والغضب، واللعن والسِّباب، والتهتك ونحو ذلك ومصاديق هذه الأمور في كثير من الأحيان هي من الذنوب كما هو واضح. وتحقق الذنوب بهذا النحو يمثِّل نقصاً في الدِّين.

٢. **غفران الذنوب**: فقد ورد عنهم عليهم السلام أنَّ من أسباب غفران الذنوب الاتصاف بحُسنِ الخُلُقِ وأنَّ تأثير حُسن الخُلُق في الذنوب كتأثير الشمس بالجليد فيُذيبها كما يُذابُ الجليدُ بالشمس[١]. ولا يفوتنا هنا إلفات النظر إلى أنَّ مثل هذهِ الحالة من التأثير بأن يكون للاتصاف بشيءٍ أو ارتكاب فعلٍ ارتباطاً وتأثيراً إيجابياً أو سلبياً على ما يترتب على أفعالٍ أخرى للشخص من الجزاء أو المقبولية هو شيءٌ شائع في النصوص الشرعية ويمثِّل ظاهرةً واضحة فقد يكون لبعض أفعالنا مدخلية في قبول الأعمال أو عدم قبولها مثلاً.

٣. **كسب الثواب ودخول الجنَّة**: فقد ورد في الحديث النبويِّ: «**ما يُوضع في ميزان امرئٍ يوم القيامة أفضلُ من حُسن الخُلُقِ**»[٢] فالمقصود من الميزان هو ميزان الأعمال وقيمتها من حيث الثواب كما هو واضح. وفي حديثٍ نبويٍّ آخر: «**أكثرُ ما تلجُ به أُمَّتي الجنَّةَ تقوى الله وحُسنُ الخُلُقِ**»[٣].

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٠.

(٢) المصدر السابق: ص٩٩.

(٣) المصدر السابق: ص١٠٠.

وفي المقابل، فإنَّ سوء الخُلُق يوجب استحقاق العقاب فهذا الصحابي سعد بن معاذ الذي ذكر النبيُّ صلى الله عليه وآله في حقِّه أنَّه بعدما صلَّى عليه بعد وفاته أنَّ سبعينَ ألفاً من الملائكة وفيهم جبرائيل قد صلُّوا عليه[١] وفي تشييعه وضع صلى الله عليه وآله رداءه لأنَّه رأى الملائكة تضع أرديتها[٢] وألْحَدَهُ صلى الله عليه وآله في قبره بنفسه. ولَمَّا رأت أمُّه ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: يا سعدُ، هنيئاً لك الجَنة. فأخبرها صلى الله عليه وآله بأنَّه لا يصح لها أنْ تجزم على ربِّها[٣] وأنَّه قد أصابته الضمَّة أي: ضمَّة الأرض التي هي من أنواع عذاب القبر. وحينما سئل صلى الله عليه وآله عن سبب ذلك أخبرهم بأنَّه بسبب سوء خُلُقه مع أهله[٤]. وهذا أمر طبيعي جداً؛ على اعتبار أنَّ مظاهر سوء الخُلُق هي في الغالب ينطبق عليها عنوان المعصية والذنب الذي يوجب استحقاق العقاب خصوصاً إذا كان سوء الخُلُق نابعاً من سجيَّةٍ راسخةٍ في الشخص؛ فإنَّ مثله لا يكاد يخرج من ذنبٍ إلا ودخل في ذنب آخر، كما عبَّرت عنه الروايات التي ذكرناها سابقا[٥]؛ ولهذا ورد في الحديث النبويّ الشريف: أنَّه قد يصل الأمر ـ بسبب بلوغ درجةٍ عالية من

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٢٢.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٧٥.

(٣) أي: أنْ تقطع بدخوله الجنَّة، وكأنَّها تشترط على الله ذلك.

(٤) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي: ص٣٨٤.

(٥) عند ذكر الأثر الأول من هذهِ الآثار، أي: الآثار التي تنعكس على الفرد.

سوء الخلق ـ إلى أنْ يكون العبد في أسفل دركِ جهنَّم[١] فسوء الخُلُق درجات منها ما يستحقُّ معها العقاب الأخروي ومنها ما يوجب الدخول في النار، بل في أسفل درَكٍ فيها.

٤. **حصول الراحة النفسية وتحقُّق الثقة بالنفس**: وهذا شيءٌ ملموسٌ بالوجدان فتجد صاحب الخُلق الحسَن عادةً ذا بالٍ مرتاح وشعورٍ بالاطمئنان والاستقرار، ويتمتع بثقةٍ بالنفس. وعلى العكسِ من ذلك العبوس الضنك الحادّ الطبعِ؛ ولهذا ورد في الأثر أنَّه: لا عيش أَهْنَأُ من حُسْنِ الخُلُق[٢] وأنَّ: مَن ساء خُلُقُه عذَّب نفسَه[٣].

وهذا ما يقرُّ به المفكِّرون والفلاسفة قديماً وحديثاً، فربطوا بين التحلِّي بالأخلاق الفاضلة والراحة النفسية[٤]. ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّ الاتصاف بالخُلُق السيِّئ فيه مخالفةٌ لصوت الضمير المدويّ الذي غرسه الخالق في أعماق نفس الإنسان، فيؤدِّي إلى انقباض نفسه وبخلاف ذلك ما إذا كان

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج١، ٢٦٠.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٨، ص٢٤٤.

(٣) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٢١.

(٤) أُنظر: أرسطو طاليس، الأخلاق: ٧٦. وأيضاً: الشيرازي، محمد، الحكمة المتعالية: ج٥، ص٢٥. وأيضاً: ريتشارد تمبلر، قواعد الحياة: ص٤٦، وص١٢٦. وأيضاً: نجاتي، محمد إبراهيم، الحديث النبوي وعلم النفس: ص ٢٨٥ وما بعدها.

متصفاً بالخلق الحسن، فيحصل الانبساط، ويشعر بالاستقرار النفسي، وتتعزز الثقة بالنفس[١].

٥. المقبولية لدى الناس: ومَن منَّا لا يُحِبُّ صاحب الخُلُق الحسَن؟! فحتى أصحاب الأخلاق السيِّئة يريدون من الآخرين أن يعاملوهم باحترامٍ وإحسان ورفق وسماحةٍ وإنصافٍ ونحو ذلك من مظاهر الخُلُق الحسَن وتراهم يفضِّلون التعامل مع مثل هذا الشخص، وتجد له مقبوليةً عندهم فالناس مجبولون على حبِّ مَن أحسنَ إليهم[٢] حتى قيل في ذلك:

أحسِنْ إلى الناس تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُم فطالما اسْتَعْبَدَ الإنسانَ إحسانُ[٣].

وهذا رسول الله ﷺ خير مثالٍ لذلك فحينما بدأ دعوته إلى الإسلام لم يكن يملكُ شيئاً غير رصيده الأخلاقي وما عُرِف به من حُسْن الخُلُق فأقبل عليه الناس وآمنوا بدعوته، بل حتى مَن لم يؤمن من المعاندين فإنهم لم يملكوا سبيلاً للطعن به غير اتهامه بالسحر والجنون ولم يكن لهم مجال للتشهير به في أخلاقه أو نواياه وأهدافه مثلاً بل كانوا يعترفون له بالفضل وحُسنِ الخُلُقِ،

---

(١) أُنظر: أحمد أمين، كتاب الأخلاق: ص١٥.

(٢) وقد ورد في الحديث النبوي: «جُبِلَتْ القلوب على حُبِّ مَن أحسن إليها وبُغْضِ مَن أساء إليها». الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٨١.

(٣) البيت من قصيدة للشاعر أبي الفتح البستي. السبتي، أبو الفتح، ديوان أبي الفتح البُستي: ص١٨٧.

ويكنُّون له في قرارة أنفسهم الاحترام والتقدير. ففي هذا السياق يروى أنَّ الأخنس بن شريق خلا بأبي جهل فقال له: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمدٍ أَصادقٌ هو أم كاذب؟ فإنَّه ليس ههنا من قريشٍ أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال له أبو جهل: «**ويحكَ! واللهِ، إنَّ محمداً لصادقٌ وما كذب محمدٌ قطْ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللِّوى والحِجَابةِ والسِّقَايةِ والنَّدْوةِ والنُّبوَّةِ ماذا يكون لسائر قُريش؟!**»(١).

وكانﷺ مُدْرِكاً لهذه الحقيقة ـ وهي أنَّ لحُسْن الخُلُقِ تأثيره السحري على قلوب الناس ـ فكان يوصي أقرباءه قائلاً لهم: «**يا بَني عبد المطلب، إنَّكم لن تَسَعُوا النَّاسَ بأموالكم فالقوهُم بطلاقة الوجه وحُسْنِ البِشْرِ**»(٢).

وسوء الخُلُقِ يُنتج ما هو عكس ذلك فيؤدِّي إلى ابتعاد الناس عن صاحبه وتفرّقهم عنه قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾(٣).

٦. **احترام الناس لصاحب الخُلُق الحسَن**: فمَن يعامل الناس بخُلُقٍ حسَنٍ ولُطفٍ واحترامٍ وإحسانٍ ونحو ذلك يقابله الناسُ بلا شكٍّ بالاحترام والتقدير ويفرض عليهم ذلك بمرور الوقت. وعلى عكس ذلك مَن

---

(١) الشريف المرتضى، علي بن الطاهر، الأمالي: ج٤، ص١٧٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٣.

(٣) آل عمران: آية١٥٩.

يُعرف عندهم بسوء الخُلُق والفظاظة، فإنَّ الناس تنقبض منه، ولا تقابله باحترامٍ عادةً.

يروى أنَّ مروان بن الحكم حضر تشييع الحسن عليه السلام وحمل جنازته فقال له الحسين عليه السلام: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ؟ فأجابه مروان: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[١].

وطلب معاوية يوماً من ضرار الضبابي أن يصف له أمير المؤمنين عليه السلام، فتحرَّج من ذلك وطلب منه أن يعفيه، فأصَّر معاوية على طلبه فذكر له ما كان في أمير المؤمنين عليه السلام من محاسن الصفات، وما كان يتمتع به من مكارم الأخلاق ومن جملة ما قال فيه: «**يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته. وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويُنبئنا إذا استفتيناه، ونحن ـ واللهِ ـ مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبةً له. يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله**»[٢] فلمَّا أتمَّ كلامه بكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك.

---

(١) أُنظر: المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٦، ص١٣.

(٢) المصدر السابق: ج١٨، ص٢٢٦.

٧. **الزيادة في الأعمار**: وهذا من الآثار الوضعية المترتبة على حُسْن الخُلُق التي أخبرنا بها الشارع المقدَّس فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**البرُّ وحُسْنُ الخُلُقِ يعمُران الدِّيارَ ويزيدانِ في الأعمار**»(١).

٨. **الزيادة في الأرزاق**: وهذا أيضاً من تلك الآثار الوضعية التي أخبرنا الشارع بثبوتها لحُسْنِ الخُلُق فقد ورد في الحديث: «**حُسْنُ الخُلُقِ من الدِّين ويَزيدُ في الرّزق**»(٢).

ولعلَّ ذلك بسبب ما يورثه الاتصاف بحُسن الخُلُق ـ وتعامل الشخص مع الآخرين باحترام ولطفٍ ـ من ميلٍ من قبل الآخرين إليه، وحصول الاطمئنان لجانبه. وهذا يساهم في زيادة فرص العمل وأسباب الربح؛ فالناس تميل إلى الخلوق وتثق به والتجارة وميادين العمل الأخرى تعتمد فرص النجاح فيها على عاملَي المقبولية لدى الناس، والوثوق بالشخص من قبلهم.

---

(١) المصدر السابق: ج٢، ص١٠٠.

(٢) الحراني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول: ص٣٧٣.

الفصل السادس

اكتساب حُسن الخُلُق.. العوامل والمؤثرات

الفصل السادس: اكتساب حُسن الخُلُق.. العوامل والمؤثرات

صحيح أنَّ من الأخلاق والسجايا ما هو فطرة وهِبة يمنحها الله سبحانه ويزرعها في نفس الإنسان ولكنه في نفس الوقت خُلِق مهيَّأً لأن يكتسب المزيد من الأخلاق والسجايا وصفات الكمال، سواء من تلك السجايا التي أودعها الله فيه ليطورها ويزداد اتصافاً بها، أو من غيرها مما لم يكن فيه أصلاً ليحصل عليها ثم يسعى للمحافظة عليها وتنميتها، بل إنَّ هذه الصفة ـ أعني: القابلية على تطوير الذات والسعي إلى التكامل ـ هي من أهمِّ صفات الإنسان وهي ميزة حَباه بها خالقه، وفضَّله بها على كثير من خلقه[1]. ولكن لاكتساب تلك السجايا والأخلاق أسباب وشروط لا بد من تحققها في سبيل الحصول عليها، أو لكي تكون عاملاً مساعداً في ذلك. ونحن سنتعرض في هذا الفصل لأهم العوامل التي تُسهم في اكتساب أو تطوير سجية حسن الخُلُق مع بيان وجه تأثير هذا العامل في ذلك:

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. الإسراء: آية ٧٠.

١ـ الإيمان بالعقيدة السليمة

يعدُّ وجود إيمان للشخص بمعتقد ضرورةً وحاجة نفسية مفروضة على الإنسان؛ لكي يحيا حياته النفسية بشكل طبيعي ومرضي. وحتى الذي يزعم تحرره من كل عقيدة فهو بالتالي يؤمن بمعتقدات ولو باطلة من قبيل إيمانه بأنَّه لا وجود لغير عالمنا المادي، وأنَّه ليس هناك مبدأ سائد غير الاستئثار بما يعود على الفرد من منافع وإشباع للحاجات الجسدية والنفسية[١].

ولا يخفى ما للعقيدة من أثرٍ مهمٍّ على نفسية الإنسان، وعلى كيفية تبلور شخصيته، فيؤثِّر ذلك على سلوكياته وهكذا على كيفية تكوّن بُنية المجتمع وعلى مظاهر سلوكياته. وإذا أجرينا جولة سريعة في ديننا الإسلامي مثلاً فسوف ترشدنا إلى أنَّ لهذا الدين شعبتينِ أساسيتينِ لا يتحقَّق معناه من دون أن تأخذا حظهما من الوجود والتحقق وهما: العقيدة والشريعة. فالعقيدة تمثِّل الجانب النظري الذي يراد منَّا الإيمان به لتحصل القناعة الجزمية في القلب والشريعة هي النُّظُم العملية التي شرَّعها الله لنا لنسير على طبقها في علاقتنا معه تعالى ومع مَن سوانا من خلقه من الناس والكون. وأكَّدت نصوص ديننا الحنيف على وجود الترابط بين الجانبين، سواء كان على مستوى الأثر المترتب في الدنيا والآخرة، أم كان على مستوى المجازاة على الأعمال والمصير الذي

---

(١) طنطاوي، محمد سيد، العقيدة والأخلاق: ص٦.

يؤول إليه الشخص. فمثلاً على مستوى الأثر المترتب عليهما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[١]. فجعل تكفير السيئات (وهو أثر أخروي)، وإصلاح البال، (وهو أثر دنيوي) مترتبينِ على الإيمان والعمل الصالح. وعلى مستوى المجازاة على الأعمال ومصير الشخص، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾[٢]. فجعل استحقاق الجنَّة مترتِّباً على تحقق المجموع من الإيمان والعمل الصالح[٣].

وفي الواقع، فإنَّ هذا ليس مختصَّاً بالإيمان بالإسلام فلا شكَّ في أنَّ الإيمان بأيِّ عقيدةٍ كانت له انعكاس مباشر ـ إيجاباً كان أو سلباً ـ على سلوكيات الفرد أو المجتمع الذي ينتشر فيه ذلك الاعتقاد[٤]. وهذا ما لا يتحرَّج عن الاعتراف به حتى مَن لا يتصل اهتمامه بشؤون الدين والعقيدة فتجد مثلاً الرئيس الأمريكي الأسبق (نيكسون) يضمِّنُ خطابه الرئاسي الأول الإشارة إلى ذلك فيقول: إنَّنا نجد أنفسنا أغنياء على المستوى المادِّي،

---

(١) سورة محمد: آية٢.

(٢) الكهف: آية١٠٧.

(٣) شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة: ص٩ ـ١٠.

(٤) أُنظر: ريتشارد تمبلر، قواعد الحياة: ص٨٧.

ولكنَّنا لا زلنا فقراء على المستوى الروحي وصحيح أنَّنا وصلنا إلى سطح القمر ولكنَّنا لا زلنا نتخبَّط على الأرض في متاهات[١].

ولا يحتاج تأثير المعتقد على واقع الأخلاق وسلوكيات الأفراد والمجتمعات سلباً أو إيجاباً إلى شواهد ومثبتات وإلا فَماذا تنتظر أن يكون تعامل مَن يعتقد أنَّه من قومية فوق كلِّ القوميات مع سائر الناس من القوميات الأخرى وكيف يكون تعامل الرجل مع زوجته إذا كان هو يعتقد بأنَّ المرأة ما وُجدت إلا لتخدم الرجل فقط؟!

ولا بأس بالتذكير بما كان عليه العرب في الجاهلية من واقع أخلاقي وسلوكي مأساوي من بعض الجهات؛ بسبب بعض الاعتقادات الزائفة كوأدهم البنات؛ بسبب اعتقادهم بأنَّهنَّ يجلبن العارَ لأهلهنَّ أو قتلهم أولادهم ـ ذكوراً وإناثاً ـ في فترات القحط والمجاعة؛ لاعتقادهم بأنَّ أسباب الرزق بأيديهم وأنَّها لا تسع لتوفير متطلبات الحياة مع وجود أولئك الأولاد أو اصطفافهم القبلي على وفق مبدأ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً؛ لأجل اعتقادهم أنَّ عُلقة الدم فوق كلِّ صلة أخرى وأنَّ رعايتها فوق كلِّ مبدأ، وإن كان ذلك على حساب الحقّ[٢].

---

(١) أُنظر: الناصري، محمد، العلاقة مع الآخر: ص١٥٥ نقلاً عن كتاب (الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري) لعمر بهاء الدين الأميري.

(٢) أُنظر: الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية: ج٢، ص١٦٢. وأيضاً: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج١، ص١٨٤. وأيضاً: اليوسفي الغروي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج١، ص١٠٧.

وقد يتوهم أحدنا أنَّه مع إيماننا بالدين الإسلامي لا حاجة إلى التأكيد على هذا الجانب، أو التأمل في معتقداتنا وكيف تؤثِّر على سلوكياتنا وأخلاقياتنا كمجتمع وأفراد ولكن هذا التوهم باطل فإنَّ كثيراً من معتقداتنا هي في الحقيقة لا تُعدُّ تعبيراً عن واقع قضايا ومعتقدات وأحكام الشريعة الإسلامية؛ إمَّا بسبب القراءة الخاطئة لواقع ديننا الحنيف، أو بسبب ترسبات الأعراف والعادات الاجتماعية الباطلة التي نتوارثها من الأجيال السابقة بشعور أو من دون شعور.

فمن أمثلة القراءة الخاطئة لمفاهيم الدين الحنيف هو مفهوم ولاية الوالدين وما يستتبعه من حكم بوجوب طاعتهما فقد يُخيَّل لبعض الآباء والأمهات أنَّ للوالدين ولايةً مطلقة على الأولاد؛ بحيث يكون لهما الحقُّ في الاطلاع على كلِّ خصوصياتهم، وأنَّه يجب على الأبناء والبنات طاعتهم في كلِّ شيء، حتى مثل اختيار الاختصاصات الدراسية، أو في مجال العمل، أو في تحديد نوع الطعام الذي يأكلونه ونحو ذلك مع أنَّ ولايتهما هي محدودة بحدود معينة، كمراعاة عدم وقوع الأولاد في الحرام الشرعي، أو منعهم من ارتكاب ما يؤدي إلى هلاكهم ونحوها من الموارد ففي مثل ذلك يثبت الحق للأبوين في منع أولادهم من ارتكاب ما يؤدي إلى ذلك ووجوب طاعة الوالدين مقيدة بأن تؤدِّي مخالفتهما وعدم طاعتهما إلى أذيتهما فلو أمرا ابنهما باختيار قسم معين في الدراسة ولم تكن مخالفتهما في ذلك تؤدي إلى أذيتهما فالطاعة آنذاك لا تكون واجبة.

هذا، ولكنَّنا نرى كثيراً من الآباء والأمهات يضيِّقون على أولادهم، ويضغطون عليهم كثيراً بشكل قد يؤدِّي إلى حصول نتائج عكسية تؤثر على العائلة وروابطها بشكل مباشر أو غير مباشر فيسيئون التصرف معهم، وتكون سلوكياتهم مع الأبناء مصداقاً لسوء الخلُق الذي يؤدي إلى مقابلته بسوء خلُقٍ مقابل. وما ذلك إلا بسبب ما ذكرناه من الفهم الخاطئ لمفهوم ولاية الوالدين، أو التطبيق الباطل لحكم الشارع بوجوب طاعتهما.

وهكذا الأمر في قيمومة الرجل على زوجته فقد يتوهم بعضهم أنَّها تعني أن يكون للرجل على زوجته ولاية وحاكمية مطلقة، وأنَّه يتوجب عليها أن تخدمه وتطيعه في كلِّ شيء، وكأنَّها أمَة يملكها أو خادمة له وتجده ما أن تعترض عليه على اعتقاده الباطل في هذه المسألة، إلا وتشدَّق بقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[1] وغاب عنه أنَّ المقصود هو كونهم قوَّامين بحقوق الزوجات الثابتة في حقِّهم، بأن يتكفلوا برعايتها وتحقيق مقتضياتها[2] أو أنَّهم مسلَّطون عليهنَّ بتدبير شؤونهنَّ وتوجيههنَّ وتعليمهنَّ[3] فليس هناك سلطة مطلقة للرجل على زوجته، بحيث يكون له الحق في اختيار وقت نومها واستيقاظها أو طريقة أكلها أو

---

(١) النساء: آية٣٤.

(٢) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج٤، ص٣٢٤.

(٣) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٣، ص٧٩.

منعها من قراءة الكتب ونحو ذلك بل لو فعل معها شيئاً من ذلك لدخل في سوء الخُلُق منه معها وربَّما أدَّى إلى أن تقابله بسوء خلُقٍ مثله وكلُّ ذلك بسبب اعتقاده الباطل الناشئ من فهمه الخاطئ لمفهوم القيمومة.

ومن أمثلة العادات السيئة التي نتوارثها ـ فتسري بين أفراد المجتمع وقد يعتقد البعض بحقانيتها ويدافع عنها ـ ما يرافق مناسبات الأفراح كالأعراس والأحزان كمجالس العزاء، من إيذاء للجيران أو المارَّة، كقطع الطريق، أو رفع صوت مكبرات الصوت، أو التسبب بالمضايقة في طريق سير المركبات ونحو ذلك. وحينما تتحدث مع أحدهم في ذلك يتذرع بأنَّه صاحب فرح أو حزن وأنَّه يلزم على الآخرين مراعاة ذلك، وتحمل كلّ ما يصدر عنه. والحقُّ أنَّ ذلك مجرد توهم فأيُّ حق هذا الذي يكون فيه أذى للناس وتعدٍّ على حقوق الآخرين وتقييد لحريتهم؟.

وعليه؛ فلا بدَّ لنا ـ كأفراد أو كمجتمع ـ من الالتفات إلى معتقداتنا ومفاهيمنا الراسخة في أذهاننا، وأن لا نكون من المقلِّدين بجهل، أو ممّن لا يلتفت إلى ما يصنع ولسان حاله يقول: حشرٌ مع الناس عيد ومن ثَمَّ المحاولة والمساهمة في تغيير الواقع الذي عليه مجتمعنا بتثقيف الناس وإطلاعهم على حقيقة تلك المفاهيم الخاطئة، وإلفات أنظارهم إلى ما تؤدِّي إليه تلك التطبيقات والسلوكيات الباطلة من نتائج سلبية على المجتمع ككل وكيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى سلوكيات منحرفة نحسب أنَّها حقّ وصواب.

٢ـ المثل الأعلى

ولاتخاذ القدوة الحسنة ـ مثَلاً أعلى ـ دَورٌ مهمٌّ في أنْ يكتسب الإنسان السجايا الطيبة، ويتحلَّى بمكارم الأخلاق، ويستفيد من سيرة مَثَله الأعلى في الارتقاء بواقعه الخُلُقي.

وفي الحقيقة، فإنَّ اتخاذ المثل الأعلى قضية فطرية قد جُبِل عليها الإنسان، حتى عُدَّت من مختصات الإنسان التي يمتاز بها عن سائر الحيوانات[١]؛ فلا تجدُ فرداً من البشر ليس له مَثَلُه الأعلى الذي يتمنَّى أنْ يقتفي أثره ليكون مِثْله ولهذا فينبغي الاهتمام بهذا الأمر وإعطاؤه حقَّه من قِبَلِ المربِّينَ، سواءٌ كانوا من الآباء والأمهات أو من غيرهم فيلزم إرشاد الناشئين إلى مَن يستحق أن يُتخذ قدوةً لهم، ويصلح أنْ يكون مَثَلَهُم الأعلى فإنَّ تحديد مواصفات المثَل الأعلى ليس أمراً متَّفقاً عليه بين بني البشر بل هو يتأثَّر بعوامل عديدة، من قبيل بيئته التي يعيش في أكنافها والمستوى الثقافي الذي يتمتع به. فتجد من الناس مَن يكون مثَله الأعلى غنياً تهيَّأت له سُبُل التمتع بملذات الدُّنيا المختلفة فيما تجد منهم مَن يكون مثَلُه الأعلى مشهوراً من المشاهير بل ربَّما تمرُّ على الشخص الواحد مراحل مختلفة يختلف معها مثَلُه الأعلى، بحسب اختلاف قناعاته أو مستواه الثقافي[٢]. أجل قد تمرُّ علينا فترة من مراحل عمرنا الأُولى نشترك فيها

---

(١) أُنظر: أمين، أحمد، الأخلاق: ص٨١.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٨٢.

في اتخاذ آبائنا أو أمهاتنا لا شعورياً كمَثَلٍ أعلى لنا ولكنَّ ذلك لن يستمرَّ بمرور الوقت وتقدُّمنا في العمر عادةً فحينما يخرج أحدنا من إطار البيت بحكم تقدُّم عمره بالنحو الذي يقتضي مخالطة الآخرين والاطلاع على أشخاص يثيرون اهتمامه، مضافاً إلى ما يوجبه تأثير الأصدقاء في قناعاته، فكثيراً ما يؤدِّي ذلك إلى الاقتداء بغير الوالدينِ واتخاذه مثَلاً أعلى.

وعلى أية حال، فالمثَل الأعلى يمثِّل الهدف المنشود للإنسان ومهما كان الهدف الذي يقصده الشخص راقياً وصالحاً كانت النتائج المتحقِّقة راقيةً وصالحةً. وحيث إنَّ مجال حديثنا هو في التحلِّي بالخُلُق الحسَن ـ والسعي لكسب آداب التعامل الجيِّد مع الآخرين على المستوى الشخصي والمجتمعي ـ فلا يمكن لأحدٍ أن يتعدَّى شخص النبيِّ الأكرمﷺ والأئمة المعصومينَ من أهل بيته الطاهرينعليهم السلام فهم القدوة العالية والقمم الشامخة في هذا المجال. قال الله تعالى شأنُه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]. ومَنْ يدعوه التكاسل إلى أنْ يتحجج، ويحاول أنْ يتشبَّث بأعذار واهية، من قبيل أنَّنا لا يمكن أنْ نصل إلى مستوى المعصوم من هذهِ الناحية فإننا نذكِّره بقول أمير المؤمنينعليه السلام : «**ألا وإنَّ لكلِّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيءُ بنور علمه ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه**[2]

---

(١) الأحزاب: آية٢١.

(٢) الطمر: الثوب الخلق، أي: العتيق، والكِساء البالي من غير الصوف. أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص٤٢٤. وأيضاً: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٣٧٧.

ومن طُعمِه بقُرصيه ألا وإنَّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهادٍ وعفَّةٍ وسدادٍ»(١).

وفي نطاقٍ متصل بالمقام: تُنقل محاورة لطيفة بين السيد الجليل ابن طاووس مع ابنه يُذكر فيها أنَّه سأل ابنه عمَّا يريد أنْ يكون وحينما أجابه الابن بأنَّه يريد أن يصير مثلَ أبيه فيقول السيد الجليل لابنه متهكِّماً: أنا أردتُ أنْ أكون مثل الإمام الصادق عليه السلام فصرتُ ابنَ طاووس فإذا كنتَ تريد أنْ تكون مثلَ ابن طاووس فماذا ستكون؟!(٢).

وهذه المحاورة تركز في الحقيقة على قضية وجدانية نعيشها كثيراً في حياتنا وهي أنَّ الإنسان كلَّما وضع نَصْب عينيه هدفاً وسعى إليه فهو في الغالب سوف لا يحصل عليه كاملاً ولهذا فينبغي توجيه أنفسنا وتحفيز أولادنا على تحديد أهدافٍ عاليةٍ ومقاصدَ ساميةٍ جدَّاً وعدم الاكتفاء بالمقاصد البسيطة؛ لكي لا نحصل على نتائج أقلّ منها. وهكذا على مستوى المَثَل الأعلى في التحلِّي بالأخلاق عموماً، والاتصاف بحُسنِ الخُلُقِ، وأدبيات التعامل مع الآخرين بنحو الخصوص ولهذا قلنا: إنَّه ينبغي في هذا المجال التركيز على سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من أهل بيته عليهم السلام الذينَ

---

(١) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ص٢١٧.

(٢) القصة مشهورة وتتداولها الألسن كثيراً، ولكنَّنا لم نعثر على مصدر قد دونها لكي نعتمده ي التوثيق في المقام.

يمثِّلون المستوى الأعلى في هذا المجال. وإذا كنَّا لا نصل إلى مستواهم، فيمكننا السير على هداهم لنصل إلى أفضل النتائج وكأنَّ الله سبحانه وتعالى أعطانا أُنموذجاً عمليَّاً للأخلاق الكاملة لنهتدي بها ونسير على هداها. وقد ورد في الحديث النبوي الشريف أنَّ النبيﷺ قال لأمير المؤمنينعليه السلام: «**يا عليُّ، أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى**»[1]؛ وهذا يستدعي الاطلاع على سيرتهمعليهم السلام، ومحاولة اقتفاء آثارهم لنتخذهم مثلاً أعلى وقدوةً حسنة وهدفاً منشوداً، نجتهد في السير نحوه والوصول إليه.

٣ـ التأمل في الآثار الإيجابية لحُسن الخُلُق والتداعيات السلبية لسوء الخلق

إنَّ الإنسان إذا أدرك قضيةً من واقعه وانطبعت في ذهنه ـ فاعتقد بها واقتنع ـ ترتَّب على ذلك أن يتحرك عملياً وفق ذاك الاعتقاد. فالعطشان الذي يبحث عمَّا يروي به عطشه مثلاً إذا علم بأنَّ هناك ماءً خلفه وتيقَّن ذلك؛ فإنَّه يأخذ بالتحرك نحوه بتلقائية ليشرب منه[2]. وهذه قضية قد فُطِر عليها الحيوان عموماً ـ ومنه الإنسان ـ فإنَّه يتحرَّك نحو ما يراه نافعاً له، ويفرُّ عمَّا

---

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٩.

(٢) أُنظر: الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول: ج١، ص١٥٤.

يراه مضرَّاً[١]. فالتأمُّل في المكاسب التي يحصل عليها الإنسان في ما لو حسُنَ خلُقُه والتداعيات التي تترتَّب في ما إذا ساء خلُقُه يبعث في نفسه داعياً للتحلِّي بالخُلُق الحسَن، ويوجِدُ عنده رغبةً وعزوفاً عن الاتصاف بسوء الخُلُق.

وهكذا على المستوى التوجيهي والتربوي، فحينما نريد أنْ نحثَّ الناس على التحلِّي بحُسن الخلق وآداب السلوك الحسَن، أو بمحاسن الأخلاق عموماً فينبغي أنْ لا نغفل هذهِ الحقيقة فلا بدَّ من إلفات أنظارهم إلى ما يترتب على ذلك من آثار ونتائج إيجابية وعلى الاتصاف بمساوئ الأخلاق من تبعات وعواقب سيئة ووخيمة أو التأكيد على حثِّهم على التأمُّل والتفكُّر في ذلك.

وأغلب الناس يكونون حريصين على المكتسبات المادِّية ـ وعدم توجه الضرر المادِّي لهم أو لما يتعلَّق بهم ـ أكثر من حرصهم على الحصول على المغانم المعنوية، أو خوفهم من الأضرار المعنويّة فلذلك قد يتوهمون أنَّ مثل هذه الأمور المعنوية والأخلاقية لا أثر لها على حياتهم ومكتسباتهم المادِّية. وهذا ملموس بالتجربة، فحينما يتحدَّث المرشد أو المبلغ عن ثواب المواظبة على أداء صلاة الليل ومدى تأثيرها على الحالة المعنوية والإيمانية للشخص قد تجد الناس يتفاعلون مع هذا الحديث ولكنَّه بالتالي لن يكون بمستوى تفاعلهم

---

(١) أُنظر: الهاشمي الشاهرودي، علي، دراسات في علم الأصول: ج٣، ص١٤.

مع الحديث عن مدى تأثير ذلك على سعة الرزق وتيسُّر وضعهم المادِّي؛ ولهذا فلا شكَّ في أنَّ إلفات النظر إلى ذلك سيكون نافعاً وأنَّه إذا تفكَّر الإنسان وتأمَّل في أفعاله وسلوكياته وخلُقِه مع الناس فسيدرك أنَّ هناك تأثيراً مباشراً لها أو غير مباشر حتى على الجانب المادِّي. فمثلاً الناس تبتعد عن سيِّئ الخلُق، ولا تخالطه ولا تتعامل معه في المعاملات التجارية أو في استئجاره في الأعمال ونحو ذلك، كما عرفت ذلك في الفصل السابق.

٤ـ تهذيب النفس وتنمية الذات

الأخلاق عموماً ـ ومنها حسن الخلق ـ بعضها سجية يمنحها الله سبحانه بأنْ يزرعها في الشخص فيكون مجبولاً عليها وبعضها اكتساب يحصل عليها الإنسان بالتعليم وتهذيب النفس والتمرين العملي[١]؛ ولهذا فنحن بحاجةٍ دائمةٍ إلى متابعة أنفسنا ومحاسبتها، والسعي لتطوير ذواتنا وتهذيب أخلاقنا. ومن أهمِّ مصاديق تلك المتابعة ملاحظة أنفسنا وأنَّنا نتصف بحُسن الخُلُق أو لا وما هي درجة اتصافنا بذلك؟ فللاتصاف بحُسن الخُلُق مراتب ودرجات ومهما ارتقى الإنسان في درجاتها، فيحسن له النظر إلى الدرجات الأرفع والطمع في الارتقاء والوصول إليها. ومن أنجح طرق متابعتنا لذلك

---

(١) ورد في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنَّ الخُلُقَ مَنيحةٌ يمنحها الله عزَّ وجلَّ، فمنه سجيَّةٌ ومنهُ نيَّةٌ..». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠١.

هو أن نلاحظ مدى مقبوليتنا لدى الآخرين وكيف هو تعاملهم معنا؛ فإنَّ ذلك يكون مرآةً للكيفية التي نتعامل بها نحن معهم فسلوكياتنا مع الآخرين هي في الحقيقة تجسيد لسلوكياتنا وخُلُقنا عادةً. نعم، قد نجد مَن يقابل إحساننا بالإساءة وتواضعنا بالتكبُّر مثلاً ولكنَّنا نتحدَّث على وفق ما هو غالب، وبلحاظ عموم الناس، ومع غضِّ النظر عن الأشخاص الذين تكون عندهم بعض الخصوصيات، ككونهم سيئي الخُلُق مع عامَّة الناس، أو مع شخصٍ معيّن؛ لحسَدهم إيَّاه مثلاً ونحو ذلك.

وبعد المتابعة يأتي دور البناء وتطوير الذات فننمِّي قابلياتنا في المجاملات المطلوبة التي يقتضيها التعامل الحسَن مع الناس وفي أنْ يكون أحدُنا ليِّناً لطيفاً وأنْ نُلزم أنفسنا بالتسامح والرفق والإنصاف ونحو ذلك.

ومَن كان حسَنَ الخلُقِ بطبعه فعليه المحافظة على هذه النعمة العظيمة التي خصَّها الله بها، كما عليه أن يسعى للاستزادة منها، فالقناعة في مثل هذه الأمور غير مستساغةٍ بل يتجلَّى هنا قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾(١).

وينبغي الالتفات إلى أنَّ مقصودنا من أنَّ بعض الأشخاص الذي قد يكون حسنَ الخُلُقِ بطبعه ـ بخلاف بعضهم الآخر ـ: هو أنَّه يولَد بصفاتٍ

---

(١) المطففين: آية٢٦.

نفسية تساعد على أن يكون ودوداً وليِّناً وبشوشاً وسَمِحاً، بحيث يكون مقبولاً لدى الآخرينَ وجذَّاباً بينهم. وهذا هو ما يعبَّر عنه في علم الأخلاق التقليدي بالمزاج[١] وقد يعبَّر عنه في اللغة العلمية الحديثة ـ بوجهٍ من الوجوه ـ بالكاريزما[٢]. بخلاف بعض آخر من الناس؛ فتجده حادَّ المزاج بطبعه ولجوجاً وغضوباً وصعب المراس. ولكن هذا لا يعفي مثل هذا الشخص ولا يعطيه العذر في البقاء على سوء خلُقه، بل تتأكَّد معه الحاجة إلى السعي في تهذيب سجاياه وتربية نفسه وتدريبها على محاسن الأخلاق.

وللتدريب العملي الأهمّيّة الكبرى من هذه الناحية فالإنسان قد تكون طبيعة مزاجه أن يكون حادَّاً ومنقبضاً أو أنَّه ليس كذلك بطبعه، ولكن طبيعة ظروفه قد تؤثر على نفسيته، فتجعلها منقبضة؛ فتؤثِّر على سلوكياته أو أنَّ سلوكيات الآخرين تكون بشكل غير لائق فيستدرجه ذلك ويقابلهم بالمثل إلى غير ذلك ممَّا يستدعي أن يقف الشخص مع نفسه وقفة متابعة وتدقيق بين الفينة والفينة؛ ليتابع نفسه من هذه الناحية وأن يبادر إلى الممارسة العملية لكلِّ ما هو داخل في نطاق الخلُق الحسَن؛ لكي لا يقع في الغفلة، ويذهب بعيداً في الانسياق بالابتعاد عن مقتضيات الأخلاق الحميدة وآداب السلوك الحسَن وذلك بالالتزام بمظاهر حُسن الخُلُق، وذلك بالمواظبة على إلقاء التحية

---

(١) أُنظر: النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج١، ص٤٥.

(٢) أُنظر: دو لانج، الأسرار الجديدة الكاريزما: ص٦.

والسلام وردِّها ردّاً جميلاً والالتزام بالمجاملات الكلامية واختيار العبارات الجميلة والتعامل مع الآخرين بلطفٍ، سواءٌ كان ذلك في محلِّ العمل أو في الطريق أو في البيت. هذا على مستوى الفعل الصادر منَّا وهكذا على مستوى ردِّ الفعل على تصرفات الآخرين، فينبغي أن يلتفت كلُّ واحد منَّا إلى نفسه، ويلتزم بالتسامح والتجاوز عن أخطاء الآخرين، وعدم مقابلة الإساءة بمثلها وأن يصرف اهتمامه إلى الأمور المهمَّة، ولا يقف عند تصرفات الآخرين ومواقفهم تجاهه، بل يتغافل عن ذلك ويتغاضى. ولا سيما إذا كان هو ربَّ الأسرة أو العمل ـ كأن يكون مديراً أو مشرفاً على الآخرين ـ ونحو ذلك وقد قيل:

لـيسَ الغبـيُّ بِسـيِّدٍ في قومـهِ لكِـنْ سـيِّدُ قَومِـهِ المُتَغَـابي[1].

٥ـ استثمار العبادات والدعاء

من الواضح أنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين المواظبة على العبادات ومظاهر تعزيز الارتباط بالله سبحانه وتعالى وبين استقامة الفرد بشكل عام واتسامه بحُسن الخلُق بشكل خاص؛ وفي آيات القرآن الكريم هناك إشارات إلى هذه القضية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2].

---

(١) هذا البيت للشاعر أبي تمام. ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي: ج١، ص٨٧.

(٢) العنكبوت: آية٤٥.

وعلى أية حال، فإن هذه المسألة وجدانية يشعر بها كلُّ واحدٍ منَّا فمن جهةٍ نجد العبادات بشكلٍ عام تُغذي الجانب المعنوي في الإنسان وتساهم في تبلور شخصيته، وتعزز شعوره بذاته وتُعطيه الإحساس بالاطمئنان بأنَّ وراءه ركناً صُلباً يتَّكئ عليه وقوَّةً جبَّارة يلوذ بها. ومن جهةٍ أخرى فمَن يواظب على ممارسة العبادات والالتزام بالممارسات الدينية عموماً سيجد نفسه متحمِّلاً لمسؤولية مراعاة لوازم ذلك الالتزام أمام الله وأمام نفسه والمجتمع؛ ولهذا تجد الناس تُدقِّق مع مَنْ يُعرف بالتزامه الديني أكثر من غيره، ويؤاخذونه بلوازم ذلك الالتزام، من صدقٍ وأمانةٍ ووثاقةٍ واستقامةٍ ونحو ذلك.

هذا ولكن لا ينبغي علينا الاكتفاء بهذا التعامل السلبي مع العبادات، وما يُنتجه تعاهدها والالتزام بها، من تولُّد المسؤولية المذكورة أمام النفس والناس، والأخذ بالاستقامة لأجل تحاشي ملامة النفس، أو معاتبة الناس ومؤاخذتهم بل الأهم من ذلك هو التأكيد على الطريقة الإيجابية في التعامل مع العبادات، ومحاولة استثمار الممارسات العبادية لبناء الذات، والاستفادة منها في اكتساب القوة المعنوية التي يحصل عليها الإنسان باتصاله بخالقه وتقربه منه، بالتذلل عنده والخضوع له والدعاء وطلب العون منه تعالى.

ويعدُّ الدعاء من أهمِّ مواطن هذا الاستثمار الإيجابي للعبادات؛ لما تشتمل عليه من ركونٍ إلى الله سبحانه وتعالى، وما تتقوم به من لجوء إليه واستعانةٍ به من جهةٍ ولما تشتمل عليه من آدابٍ وتوجيهات ضمنية، تستهدف تهذيب

النفس وتقويم السلوك من جهةٍ ثانية مضافاً لما تستبطنه المواظبة على الدعاء، من تعهدات ضمنية مع النفس وخالقها بالاستقامة ومراعاة حقوق الآخرين، وتصحيح طرق التعامل معهم بل إنَّ نفس الخلوة مع الله سبحانه والتخضُّع والإنابة إليه تنتج عنه حالة معنوية إيجابية، تلازمها تحقق مقتضيات حسن الخلق، من سماحة النفس، ولين الجانب، وخفض الجناح تواضعاً ونحو ذلك.

وتراثنا المرتبط بالأدعي والواصل إلينا عن أهل البيت عليهم السلام غنيٌّ جدَّاً من هذه الناحية فأئمتنا عليهم السلام أولَوا هذا المجال اهتماماً بالغاً، وجعلوه ميداناً للتوجيه وتقويم الناس وإصلاح ذواتهم، بالرغم من أنَّ النتائج المترتبة على المواظبة على قراءة الأدعية هي نتائج تراكمية تحصل من مجموع الممارسات وبشكل تدريجي، بحيث قد تجد صعوبة في الإشارة إليها بشكل واضح ومباشر فحالها ليس كحال حصول حالة الشبع كنتيجة مباشرة لتناول الطعام أو تحقق راحة البدن بسبب النوم وإنَّما يتحقق إصلاح الذات وتربية النفس وتقويم السلوك بشكلٍ تدريجي وغير ملموس عادةً واستقرار نتائج ذلك التأثير، والحصول على الثقة بالنفس وسماحتها، وسعة الصدر، واتصافها بالرفق واللطف، والإنصاف والإحسان، ونحو ذلك، بحيث تكون تلك الصفات ملَكاتٍ وسجايا مستقرة في الشخص ويكون ذلك كحصيلة تراكمية للمواظبة على العبادات ولا سيما الدعاء.

وهذا لا يعني أنَّك لا تجد في الأدعية ما له ارتباط مباشر بترتب ذلك، فيكون له دور تذكيري وتوجيهي مباشر للشخص، ودعوة واضحة لتهذيب طباعه وتقويم سلوكياته وأوضح مثال لذلك دعاء الإمام السجاد عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال[١].

٦ـ اختيار البيئة السليمة

لا شك في أنَّ للبيئة التي يعيش فيها الشخص ـ والمحيط الذي يتواجد فيه ـ تأثيراً ملموسا وواضحاً، سواء أكان هذا التأثير مباشراً وغير مباشر عليه من حيث طريقة تفكيره وتبلور انطباعاته وقناعاته وتصرفاته وسلوكياته. وصحيح أنَّ هذه الظاهرة تبرز في المراحل الأولية للشخص من الطفولة والمراهقة بل والشباب ويضعف تأثيرها كلَّما تقدَّم الإنسان في العمر وازداد نضوجاً، إلا أنَّها لا تختفي ولا تنعدم تماماً بل قد نجد أنفسنا ـ وفي جميع مراحل أعمارنا ـ نتصرف بلا قصد في بعض البلدان والبيئات بشكلٍ مختلفٍ عمَّا تكون عليه تصرفاتنا في بلدان أخرى وفي حالاتنا الاعتيادية. فتأثرنا إيجاباً أو سلباً بالمحيط الذي نكون فيه هو واقع حال نعيشه جميعاً، ولا مجال لإنكاره. ومن تراكمات هذا الواقع انبثقت عبارة (الإنسان ابنُ بيئته) التي تُردَّد على الألسنةِ كثيراً.

---

(١) الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ص١١٠، الدعاء رقم ٢٠.

وفي الحقيقة، فإنَّ سلوكياتنا وأخلاقيات تعاملنا مع الآخرين تتأثر بالبيئة والمحيط الخارجي بأنحاء متعددة سواء كان ذلك التأثير إيجابياً أم سلبياً ومن أهمِّ تلك الأنحاء:

١) النشوء في البيئة الصالحة أو السيّئة. وأبرز مظاهر ذلك هو المحيط العائلي. فالعائلة هي كالقالب الذي تتشكَّل في ضوئه شخصية الفرد وسلوكياته عادةً فإنْ كانت العائلة تسودها أجواء المحبَّة والاحترام ومظاهر الخلق الحسن كان انعكاس ذلك عليه بالإيجاب واضحاً وإنْ كانت تسودها أجواء الشحناء وعدم الاحترام انعكس ذلك على الفرد بالسلب. هذا فضلاً عمَّا قد يحصل في بعض الأحيان من مبادرة بعض أرباب الأُسَر إلى توجيه أبنائهم وتنشئتهم على أن يكونوا عبوسين وجُفاةً ومتكبِّرين ونحو ذلك ولدواعي مضللة لا تعبِّر إلا عن جهل صاحبها من قبيل أنَّ الناس تتكبر على المتواضع وتحترم المتكبر أو أنَّ البشاشة تُطمع الآخرين وتُغريهم باستغلال البشوش، وتُوهمهم بأنَّه إنسانٌ بسيط أو أحمق مثلاً إلى غير ذلك من أوهام نابعة إمَّا من جهل أصحابها أو من إصابتهم بمرض نفسي أو عيب أخلاقي ونحو ذلك.

وفي الحقيقة، فإنَّ وقوع الشخص في مثل هذا الفخ ـ بأنْ ينشأَ في وسط عائلي سيِّئ ـ يكون أمراً مأساوياً وذا نتائج وخيمة إذا لم يوفَّق ويلتفت إلى نفسه، أو يجد فرصةً مناسبةً بأنْ يَلقى رعايةً وتوجيهاً من الآخرين، كالأصدقاء والمعلِّمين مثلاً.

والحياة عبر مراحلها التاريخية المختلفة ليست خاليةً من تجارب ناجحة لأشخاص ناجحين وأصحاب خُلُقٍ عالٍ، نشأوا في عوائل أو أوساط سيئة. ومما له صلة بهذا المجال ما يروى حول سعد بن عبد الملك الأموي ـ والذي هو من ولد عبد العزيز بن مروان بن الحكم ـ ودخوله على الإمام الباقر عليه السلام باكياً وحينما سأله الإمام عليه السلام عن سبب بكائه أجابه قائلاً: كيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟! فقال له الإمام عليه السلام: لستَ منهم أنتَ أمويٌّ منَّا أهل البيت[١] وكان عليه السلام يسميه سعد الخير[٢]. ومن تلك النماذج الملهمة في هذا المجال أيضاً آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون التي عاشت عند أعتى جبابرة الأرض وفي ظروف قاهرة ولكنها بالرغم من ذلك حافظت على مبادئها، ولم تتأثر ببيئتها، رغم تعاضد عوامل الترغيب والترهيب، ورغم توافر عناصر الاستدراج والانسياق مع ظروف تلك البيئة خصوصاً وأنَّ المرأة بطبيعتها تتكيَّف مع الظروف التي تحيط بها بسهولة وتتلاءم مع طباع الآخرين ـ ولا سيما زوجها ـ بسهولة؛ ولذلك استحقت أن يجعلها القرآن الكريم مثَلاً للمؤمنين: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ

---

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص٨٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١]. وينبغي التأمل في دعائها الذي تضمنته الآية الشريفة حيث قالت فيه: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾، فلم يقتصر دعاؤها على طلب النجاة من فرعون، بل قالت: ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾ فما فائدة أن تنجو من ظلم فرعون فتحظى بحياتها، ولكن مع التنازل عن مبادئها والانسياق معه في أفعاله وسلوكياته الشنيعة وقد قال الشاعر:

ليسَ مَن ماتَ فاستراح بميـت إنَّـما الميْـتُ ميّـتُ الأحيـاء[٢].

٢) الأصدقاء والأصحاب. إذ لا شك في تأثيرهم على الشخص على مستوى الأخلاق والتصرفات، ولا يمكن إنكار ذلك والتغاضي عنه والتجربة أفضل برهان عليه. وكم عانت العوائل ـ ولا تزال ـ من تأثير أصدقاء السوء على أولادهم وكم حرص الآباء ـ ولا زالوا ـ على أن يكون رفقاء أولادهم صالحين. فكما يقال: قل لي مَن تُعاشر أقُلْ لكَ مَن أنت. تعبيراً عن وضوح ذلك التأثير الحتمي للصديق والمرافق على الشخص وأخلاقه وسلوكياته، سواءٌ كان ذلك التأثير إيجابياً أم سلبياً. ولهذا فعلى كلِّ أحدٍ منَّا أنْ يلتفت إلى هذه المسألة، وأن يكون دقيقاً في اختيار أصحابه ورفقائه فإنَّ

---

(١) التحريم: آية١١.

(٢) يُنسب البيت للشاعر الجاهلي عدي بن الرعلاء الغساني. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٤، ص٢٥٨.

صاحب السوء يعدي ومَن يصحبه لا يسلم كما ورد في الأثر الشريف[١]. ولا يقف الأمر عند هذا الحدِّ فربَّما تُفرض علينا معاشرة السيئيّن، كما لو كانوا زملاء لنا في الدراسة أو العمل مثلاً فنُجبر على مخالطتهم ومعاشرتهم والتعامل معهم وهذا قد يؤدِّي إلى الانسياق معهم أو مجاراتهم في تصرفاتهم فيسلبونا شيئاً من خُلُقنا من حيث نشعر أو لا نشعر.

وهنا تبرز ظاهرة أخرى لها مَسَاسٌ شديد بهذه القضية وهي اختلاط الفرد بالمجتمع، وممارسة حياته الاعتيادية في أوساطه بشكل عام فإنَّ ذلك يجعله يكتسب بعض الأمور والأعراف ولو بشكل تدريجي وتلقائي وبشكل غير مقصود فهنا علينا الالتفات إلى عدم انخراطنا في بعض السلوكيات التي تنافي مقتضيات الخلُق الحسَن والتعامل الجيِّد فكون الشيء مقبولاً لدى المجتمع ومتعارَفاً عليه عنده لا يكفي لجعله حسَناً، ولا يُعطيه مسوِّغاً في أن يمارسه الشخص أو يرتكبه ولو بشكل محدود. فمثلاً لو كان المجتمع الذي يعيش فيه الشخص لا يهتم بمجاملات الترحيب وإلقاء السلام أو كان متعارفاً في الدائرة أو المؤسسة التي يعمل فيها أحدنا التعاملُ بحدِّية وخشونة مع أصحاب بعض الوظائف كعامل التنظيف أو الحارس أو السائق فعلينا أن

---

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٣٤. وأيضاً: الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ج١، ص١٦٩.

لا ننساق مع الآخرين في تصرفاتهم تلك وإن كانت مألوفة عندهم، وقد يتقبَّلها الآخرون من الطرف الآخر.

٣) مؤسسات التربية والتعليم، من مدارس ومعاهد وكليات ونحوها فإنَّ لها تأثيراً كبيراً على سلوك الفرد وخلُقه. ويكون التأثير فيها من عدَّة نواحٍ منها:

أولاً: كون هذه المؤسسات التربوية والتعليمية موطناً لالتقاء الأشخاص المختلفين من حيث الطباع والأعراف والأديان والطبقات الاجتماعية وفي مراحل عمرية تجتمع فيها خصلتان يكوِّنانِ سلاحاً ذا حدَّينِ نعني بذلك النشاط الذي يتمتَّع به الشباب والمراهقون وعدم النُّضج بسبب قلة الوعي والتجارب الحياتية الكافية.

والاختلاط بالشكل المذكور يُسهم في تحديد النحو الذي يكون عليه خلُق الشخص ومستوى سلوكياته، ويؤثِّر عليه بشكل مباشر كما عرفت قريباً في العامل الثاني من العوامل المؤثِّرة في اكتساب حُسن الخُلُق (الأصدقاء والأصحاب).

وثانياً: تأثير المناهج التربوية والتعليمية على كيفية تكوّن شخصية الفرد، وتحديد مستواه الثقافي، وطريقة تفكيره، ونحو تشكُّل قناعاته وآرائه. وهذا ما أصبح يقرُّ به العالَم أجمع ويعترف الجميع بأنَّه بات سبباً رئيسياً في تفاقم أكبر المشاكل العالَمية، ألا وهي مشكلة التطرُّف، سواءٌ كان تطرفاً عقائدياً ودينياً أم

قومياً وعرقياً[١]. وليس هذا ما يعنينا هنا بل ما نقصده ونريده هنا هو تأثير ذلك على سلوكيات الإنسان وأخلاقياته؛ فإنَّ لتبلور القناعات وتكوُّن الاعتقاد والتوجُّه الفكري تأثيراً قوياً على سلوك الأفراد والمجتمعات كما عرفت عند حديثنا عن العامل الأول من عوامل المؤثرة في اكتساب حُسن الخُلُق ـ نعني: الإيمان بالعقيدة السليمة ـ ولهذا فسنكتفي هنا بهذه الإشارة؛ لئلا يحصل تكرار للكلام.

وثالثاً: المناهج التربوية والتعليمية من جهةِ ما تتضمنه من تعليمات وتوجيهات تربوية وقواعد سلوكية فإنَّها تؤثِّر على أخلاقيات الطلاب والتلاميذ المتلقِّين لها بشكل مباشر. وهذا شيءٌ آخر يغاير ما ذكرناه آنفاً في الناحية السابقة من أنحاء تأثير المؤسسات التربوية والتعليمية فهناك كان الحديث عن تشكُّل عقيدةٍ خاصة بسبب الدراسة على وفق المنهجية؛ ممَّا يؤدِّي إلى تبلور خُلُق الشخص وسلوكياته وفق تلك العقيدة فالذي يؤمن بمبدأ النفعية الشخصية وتقديمها على أي قيمةٍ أخرى ستختلف سلوكياته حتماً عن ذلك الذي يؤمن بحياة الشراكة مع الآخرين، على وفق مبدأ التوازن بين

---

(١) وصدرت في هذا الخصوص دراسات وبحوث إحصائية وتحليلية كثيرة جدَّاً. ويمكن الاستفادة في هذا المجال من كتاب (أوربا: التطرف العنيف وسبُل المعالجة) للكاتب جاسم محمد، وبمشاركة عدد من باحثي المركز الأوربي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات في ألمانيا وهولندا. من منشورات المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر.

مراعاة المصالح الشخصية ومصالح المجتمع وأفراده الآخرين وتقديم ما يكون الأهمَّ منهما، ولو كان هو مصلحة الآخر. ومَنْ يعتقد بانحصار حقِّ الحياة في الدُّنيا بمَنْ يحمل معتقده فقط ـ أو بأفضليته عمَّن سواه ممَّن لا يعتقد بمعتقده ـ سيختلف خلُقُه وسلوكه أيضاً عمَّن يؤمن بحقَّانية الآخرين في العيش أيضاً وأنَّ الناس صنفانِ: إمَّا أخٌ لك في الدِّينِ، وإمَّا نظير لك في الخَلْق[1]. وهذا ما كنَّا نتحدَّث عنه سابقاً. وأمَّا هنا فنريد الحديث عن تأثير ما يُلقى للطلاب والتلاميذ من تعاليم وآداب وقواعد سلوك على الشخص أو المجتمع من الجهة الأخلاقية والسلوكية مع الغضِّ عن توجهاته الفكرية أو العقائدية.

وكنموذج لما نريد الحديث عنه نذكر قضية مهمَّة وحسَّاسة؛ ليتضح المراد ممَّا نريده هنا، ويتبيَّن لنا في نفس الوقت كيفية تأثير ما يُطرح في المناهج التربوية والتعليمية على سلوكيات الأفراد والمجتمعات وتلك القضية هي فكرة التفاوت أو المساواة بين الجنسين: الذكر والأنثى فهل هناك مساواة بينهما أو لا؟ فإنَّ لتحديد الجواب عن ذلك واختيار أيّ واحد من الاحتمالين ـ المساواة وعدمها ـ لوازم تتوجَّه في ضوئها سلوكياتنا التي لها ربط بهذه القضية.

---

(١) عبارة من عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولَّاه مصر. أُنظر: خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ص٨٤.

فهناك أطروحة تقول بعدم الفرق بين الجنسين، وأنَّ هناك مساواةً بينهما من كلِّ جهة ولا يقتصر ذلك على مستوى الحقوق والواجبات، بل يتعدَّاه ليصل الأمر إلى القول: بأنَّ ذلك ثابت حتى بلحاظ الوظائف، فكل ما يقوم به الرجل يمكن للمرأة أن تقوم به، وإن كان في أوقات سابقة مقصوراً على الرجال، كالتصدي للعمل السياسي أو العسكري، أو ممارسة بعض الرياضات، ككرة القدم والملاكمة مثلاً.

وفي قبال هذه الأطروحة توجد أطروحةٌ أخرى مفادها أنَّ هناك أفضليةً للذكر على الأنثى، فمن الناحية التكوينية تجد الرجل أقوى بُنيةً من المرأة وأكثر ذكاءً عادةً وأكثر قدرةً على إدارة الأمور وتولِّي الوظائف والقيام بالأعمال اليدوية. ومن الناحية التشريعية ففي الشريعة الإسلامية نجد أنَّ هناك نصوصاً تجعل الرجالَ هم القوَّامين على النساء وفي الحقوق والاستحقاقات نرى هناك تفاوتاً ففي الإرث مثلاً يكون للذكر مثلُ حظِّ الأُنثيين وعلى مستوى التقييمات نجد ما قد يفهم منه التفاوت في المقابلة بينهم، كجعل شهادةِ الرجل الواحد تعدل شهادة امرأتين مثلاً.

وبين هاتين الأُطروحتين تبرز أطروحةٌ ثالثة معتدلة تتسم بالاعتدال وخارجة عن حدود الإفراط والتفريط، تتمثَّل بالتركيز على تفسير ما هو المقصود من التساوي بين الجنسين فهل المراد منه المساواة المطلقة ومن كل جهة بحيث يكون الحال بين زيدٍ وهند عند المقارنة بينهما كالحال بين زيدٍ وبكر، أو بين هندٍ وزينب تماماً أو أنَّ المقصود منه المساواة مع ملاحظة

الخصوصيات لكلٍّ واحد من الجنسين فتكون مساواةً على وفق مبدأ النسبة والتناسب؟ فلو كان لديك إناءانِ أحدهما من النحاس مثلاً والآخر من البلاستيك فهل تقبل من أحدهم أن يدعوك للتعامل معهما بالتساوي المطلق ومن كلّ جهة، بحيث تضع إناء البلاستيك على النار كما تضع إناء النحاس عليها أو توصل إناء النحاس بالكهرباء وأنت ممسك به كما تفعل ذلك مع إناء البلاستيك؟! نعم ربَّما يكون من المساواة في الوظائف بين الإناءين أنْ تجعل فيهما نفس المقدار من الماء إذا كانا بحجم واحد مثلاً.

فإذا كان المقصود من المساواة بين الجنسين هي المساواة المطلقة ومن جميع الجهات فالجواب في هذه الأطروحة عن السؤال المتقدم ـ أي: عن وجود المساواة بين الذكر والأنثى ـ هو النفي وعدم وجود التساوي وإذا كان المقصود منه التساوي الذي يُلحظ فيه خصوصيات كلٍّ واحد من الجنسين، وعلى مبدأ النسبة والتناسب، فالجواب فيها هو الإيجاب، وأنَّ هناك مساواة بينهما يُرعى فيها خصوصيات كلٍّ من الجنسين البدنية والنفسية[١].

وعلى أيَّة حال، فتحديد الموقف من هذه القضية سيترتب عليه كثير من الأمور التي تدخل في نطاق سلوكيات الأفراد والمجتمعات، وتحديد مصاديق وتطبيقات الخلق الحسن وآداب التعامل مع الآخرين. ولا نقصد من تحديد

---

(١) وطبيعي مقامنا هنا ليس محلاً لتفصيل الكلام في توجيه ذلك وبيان تطبيقات هذه الفكرة والشواهد على صحتها، فهذا كلُّه خارج عمَّا نحن في صدده.

الموقف تحديده وتبنيه على مستوى الأشخاص والدارسين وإنَّما نقصد تبنِّي ذلك على مستوى المدرسة والمؤسسة التربوية والتعليمية على مستوى المنهاج الدراسي والتربوي؛ فالذي يتبنَّى المسلك الأول الذي يساوي بين الجنسين مطلقاً سوف تتضمَّن مناهجه التربوية والتعليمية ما يناسب ذلك من توجيهات أخلاقية وسلوكية ـ نظرية أو عملية ـ ممَّا يشجِّع على الاختلاط اللامحدود وما يلازمه من محاذير خطيرة على الفرد والمجتمع فضلاً عن المحاذير الأخرى التي لا تدخل في نطاق السلوك وأخلاقيات التعامل مع الآخرين والتي لسنا بصدد التعرض لها هنا.

والذي يتبنَّى المسلك الثاني الذي يفاضل بين الجنسين ويقدِّم الذكر على الأنثى مطلقاً سوف تجد مناهجه التربوية والتعليمية مليئةً بما يناسب ذلك من توجيهات سلوكية وأدبيات التعامل مع الآخرين ممَّا يُسهم في جعل المجتمع ذكورياً وتغليب جانب الرجال وتغييب النساء أو تعرُّضهنَّ للظلم والقهر والتعدِّي على حقوقهنَّ ممَّا يسهم في تورّط المتلقِّي لتلك التوجيهات في الوقوع في تطبيقاتٍ سلوكية خاطئة من هذه الناحية تتنافى مع مقتضيات الخُلُق الحسَن وأدبيات التعامل الجيد مع الآخرين. وبخلاف هذا وذاك أصحاب المسلك الثالث المعتدل، كما هو واضح.

وما ذكرناه لا يعدو أنْ يكون مثالاً لتأثير المناهج التربوية والتعليمية على خُلُق وسلوكيات الأفراد والمجتمعات وكيف يؤثِّر التوجُّه الثقافي والفكري

والعقائدي للمؤسسات التربوية والتعليمية في هذا المجال وإلا فالأمثلة كثيرة والكلام فيها طويل لا يسعه المقام.

٤) الهجرة إلى بلاد الغرب فإنَّ بيئة تلك المجتمعات تختلف عن بيئتنا الاجتماعية من حيث الثقافة والأعراف والقوانين وبعض القيم الأخلاقية والآداب السلوكية. والإنسان يتأثر بمحيطه الذي يعيش فيه ولو بالتدريج ولهذا فعلى مَنْ يُبتلى بهذه المجازفة ـ أي: العيش في تلك البلاد ـ أنْ يلتفت إلى نفسه وعياله دائماً ويلاحظ إذا ما تأثَّرت سلوكياته أو عياله أو لا ليرى هل أن هذا التأثُّر الحاصل سلبيٌّ أو إيجابي؟ ليبادر إلى إصلاح الأمر فيما لو كان التأثر سلبياً.

وينبغي هنا الاعتراف بشيء وهو أنَّ الذي يهاجر إلى تلك البلاد ويعيش فيها سيتأثَّر هو أو عياله بتلك البيئة الجديدة حتماً ولكن ينبغي ملاحظة ذلك التغير ومستواه؛ فهناك بعض السلوكيات تدخل في سياق العرف الخاص بذلك المجتمع ولا تتقاطع مع الثوابت الدينية أو الأخلاقية من قبيل طرق المجاملات وكيفية إبداء الاحترام، فبعض المجتمعات تتبادل التحيات بالتلفظ ببعض ألفاظ الترحيب فقط بينما بعضها الآخر يضمُّ إلى ذلك المصافحة وهناك من المجتمعات مَن لا يكتفي بذلك، بل يضمُّ إليه التقبيل أو المعانقة مثلاً. ومثل هذه الأمور لا بأس بمجاراة أعراف المجتمع الجديد الذي يعيش فيه الفرد وتقاليده ولكن ما لم تتقاطع مع الثوابت الدينية أو الأخلاقية

كما ذكرنا فمصافحة الرجل للمرأة أو المعانقة بينهما مثلاً قد تكون شيئاً متعارفاً في المجتمعات الغربية، ولكنَّها تتقاطع مع أحكام الدين الإسلامي.

وشدَّة الاهتمام بالوالدين ورعايتهما يعدُّ أمراً ضرورياً ولا بدَّ من الالتزام به عملياً في مجتمعاتنا الشرقية ـ بل يمكن عدُّه من الثوابت الأخلاقية ومقتضيات الفطرة السليمة[1] ـ بينما هو عمليّاً لا يكون بهذا المستوى من اللزوم في بعض المجتمعات الغربية بحيث تجد من المستساغ عندهم وضعهما في دور المسنِّين، بالرغم من وجود أولادهم وإمكانية أن يعيشا عندهم.

وهناك بعض الأمور قد لا تتنافى مع الأحكام الإلزامية الشرعية، ولا تتقاطع مع الثوابت الأخلاقية ولكن بالرغم من هذا لا بدَّ من الحرص على الالتزام بها، وعدم التفريط بها هناك في العيش في تلك المجتمعات وما ذلك إلا لأهميتها في أعراف وأخلاقيات مجتمعاتنا التي ولِدنا فيها ونُنسب إليها، أو لحُسنها الشديد، وإن لم تكن من الأمور اللازمة شرعاً أو أخلاقياً. وربَّما أمكننا التمثيل لذلك بمثل تقدُّم الشاب على الشيخ الكبير في الدخول أو الخروج من الباب؛ فإنَّه قد يكون شيئاً مقبولاً في تلك المجتمعات الغربية بينما هو أمر غير مقبول ويُعاب على فاعله في مجتمعاتنا الشرقية ويعدُّ من جملة

---

(١) وممَّا يؤكد كون هذا الخلُق فطرياً ما يذكر من أن النسر حينما يكبر ولا يقوى على الطيران جاءه أفراخه بالطعام فيزقانه. أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٦، ص٤٦٦.

الثوابت الأخلاقية عندنا. فمثلُ هذه الأمور وغيرها يتحتم على المغترب مراعاتها والمحافظة عليها بلحاظ نفسه وعياله؛ لأنَّه يعدُّ تراثاً أخلاقياً لمجتمعه الأصل وأمراً حسَناً لا يتنافى مع ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه فعلاً بل سيجد تقديراً عالياً عليه من قبل هذا المجتمع، بل ربَّما أثَّر فيهم إيجاباً وعملوا به في سلوكياتهم مع الآخرين.

الخاتمة

وفي الختام لا بد لنا من الاعتراف بأنَّ الكلام في حسن الخلق لا يسعه مثل هذا الكتيب، ولا يمكن استيعاب تفرعاته أو الإحاطة بجميع تطبيقاته وصوره أو الإشارة إلى جميع حيثياته في مطاوي كتاب واحد فهو في موارده وأساليبه وصوره واسع الحدود بسعة معاملات الناس في ما بينهم فكل مجتمع له أعرافه الخاصة به على صعيد أدبيات السلوك وأخلاقيات تعامل أفراد المجتمع في ما بينهم بل ولكلِّ شريحة من المجتمع الواحد توجد هناك أعراف على هذا الصعيد خاصة بها بل أكثر من ذلك يمكن القول: بأنَّك تجد لكل واقعة أو موقف هناك ظروفاً وحيثيات تفترض أسلوباً معيناً من التعامل وقد تُعيّن كيفية خاصة من أخلاقيات ذلك. ولكن من الطبيعي هذا لا يمنع من وجود أخلاقيات مشتركة بين مختلف المجتمعات أو الشرائح وإنْ اختلفت في بعض الأحيان في مصاديقها وتطبيقاتها بحسب اختلاف الأعراف كما في خُلُق الاحترام وتقدير المقابل مثلاً فلا تجد مجتمعاً من المجتمعات لا يهتم به أو لا يعرفه أصلاً فكل المجتمعات تشترك في وجود هذا الخُلُق في أوساطها ولكن بالرغم من ذلك تجد تطبيقاته وطرق تحقيقه وأساليب التعبير عنه مختلفة من مجتمع لآخر. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإنَّ مصاديق حسن الخلق وأساليبه هي ليست على مستوى واحد من حيث الأهمّيّة التي تتأثر بالآثار المترتبة على أي خُلُق وما هي الفائدة التي يقدمها للفرد أو المجتمع أو الضرر الذي يؤدي إليه إهمال الخُلُق أو التقصير فيه فمثلاً البَشاشة وقبول الآخر والانفتاح عليه يمكن عدُّه إكسير النجاح على مستوى بناء العلاقات الاجتماعية وترميمها وهكذا السماحة وسعة الصدر والرفق بالآخرين ومعاملتهم على وفق العدل والإنصاف ونحو ذلك فهذه السجايا والأخلاق ونحوها تشتمل على كلتا الخصلتين المشار إليهما آنفاً فهي لا تختص بمجتمع دون آخر ولها من الأهمّيّة ما لا يخفى على كل أحد؛ ولهذا كان تركيزنا في الفصول والمباحث السابقة عليها.

ومع ذلك لا ندَّعي الاستقصاء أو الإيفاء بما يستحقه البحث في هذا المجال بل إن هذه الدراسة كانت مجرد محاولة إلفات الأنظار إلى هذا الجانب المهم الذي بدأنا نشعر بأنَّ مجتمعنا أخذ بالابتعاد عنه شيئاً فشيئاً وما هي إلا تذكرة ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. نسأل الله تعالى أن يتقبل منَّا بأحسن القبول وأن ينفع بما كتبناه وأن يقابلنا بما يقتضيه فضله وإحسانه لا بما نستحق.

والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً.

---

(١) الذاريات: آية٥٥.

مصادر الكتاب

❁ القرآن الكريم.

❁ **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، انتشارات دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤١٤هـ، ط١.

❁ **الصحيفة السجّاديّة**، تحقيق: محمّد باقر الموحّد الأبطحي، مؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قم ـ إيران، ١٤١١هـ.

١. الآمدي التميمي، عبد الواحد، غُرر الحِكَم ودُرر الكَلم، تحقيق: مهدي الرجائي، دار الكتاب الإسلامي، قم ـ إيران، ١٤١٠هـ، ط٢.

٢. الأبشيهي، شهاب الدين محمّد بن أحمد، المستطرف في كلّ فنٍّ مستطرف، تقديم وضبط وشرح: الدكتور صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٠م، ط١.

٣. اليسوعي، لويس شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ـ لبنان.

٤. الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، انتشارات سيّد الشهداء عليه السلام، قم ـ إيران، ١٤٠٣هـ، ط١.

٥. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمّد بن عبيد، مكارم الأخلاق، تحقيق وتعليق مجدي السيّد إبراهيم، مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر.

٦. ابن الأثير، مبارك بن محمّد مجد الدين، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، مؤسّسة اسماعيليّان، قم ـ إيران، ١٣٦٤هش، ط٤.

٧. الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا عليه السلام صحّحه وقدّم له وعلّق عليه: العلّامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٨. الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم ـ إيران، ١٤١٧هـ، ط١.

٩. الصدوق، محمّد بن علي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جامعة المدرّسين، قم ـ إيران، ١٤٢٤هـ، ط٦.

١٠. الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جامعة المدرّسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤هـ، ط٢.

١١. ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان.

١٢. ابن الرومي، علي بن العبّاس، ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان.

١٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دفتر تبليغات إسلامي، قم ـ إيران، ١٤٠٤هـ.

١٤. ابن الملقن الأنصاري، عمر بن علي بن أحمد، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: خالد الرباط وجمعة فتحي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

١٥. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب حوزه، قم ـ إيران، ١٤٠٥هـ.

١٦. أبو تمّام، حبيب بن أوس بن الحارث، ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط٥.

١٧. أبو العلاء المعري، أحمد بن عبدالله، اللزوميّات، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر.

١٨. أمين، أحمد، كتاب الأخلاق، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ـ مصر.

١٩. أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة: أحمد لطفي السيّد، مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢١م.

٢٠. المقدّس الأردبيلي، أحمد بن محمّد، زبدة البيان في أحكام القرآن، تحقيق: محمّد الباقر البهبودي، الناشر: المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة، طهران ـ إيران.

٢١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، ١٤٢٧هـ، ط٢.

٢٢. الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمّد، الأغاني، دار إحياء التراث العربي.

٢٣. البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى، ديوان البحتري، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ط٣.

٢٤. البحراني، ابن ميثم، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام تحقيق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران.

٢٥. البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم ـ إيران، ١٤٠٣هـ.

٢٦. البُستي، علي بن محمّد بن الحسين، ديوان أبي الفتح البُستي، تحقيق: دريد الخطيب ولطفي الصقّال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق ـ سورية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٧. مردم بكَ، خليل، ديوان خليل مردم بك، تقديم الدكتور جميل صليبا عضو المجمع العلمي العربي، إشراف وتعليق: عدنان مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق ـ سورية.

٢٨. التنوخي، الحسن بن أبي القاسم، الفرج بعد الشدّة، منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٤هـ ش، ط٢.

٢٩. جاد المولى، محمّد أحمد، الخلق الكامل، المطبعة العثمانيّة المصريّة، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م، ط١.

٣٠. الجرجاني، الشريف علي بن محمّد، معجم التعريفات، تحقيق: محمّد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.

٣١. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ط٤.

٣٢. إبراهيم، حافظ، ديوان حافظ إبراهيم، ضبط وتصحيح وشرح وترتيب: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٧م، ط٣.

٣٣. ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تُحَف العقول، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، جامعه المدرّسين، قم ـ إيران، ١٣٦٣، ط٢.

٣٤. الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبيّة، طبع ونشر دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠هـ.

٣٥. ورّام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورَّام)، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٢.

٣٦. دراز، محمّد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ساهم في إعداده: محمّد بدوي، وعبد الصبور شاهين، وسامي الغريري، دار الكتاب الإسلامي، قم ـ إيران، ١٤٢٣هـ.

٣٧. دو لانج، الأسرار الجديدة الكاريزما، مكتبة جرير، المملكة العربيّة السعوديّة، ٢٠١١م، ط١.

٣٨. الديلمي، الحسن بن محمّد، إرشاد القلوب، منشورات دار الشريف الرضي للنشر، قم ـ إيران، ١٤١٢هـ.

٣٩. راسل، برتراند، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة: عبد الكريم أحمد، ومراجعة: حسن محمود، طباعة ونشر: مكتبة الأنجلة المصريّة بالقاهرة.

٤٠. تمبلر، ريتشارد، قواعد الحياة، مكتبة جرير، المملكة العربيّة السعوديّة، ٢٠٠٨م، ط١.

٤١. الري شهري، محمّد، ميزان الحكمة، تحقيق وطبع ونشر دار الحديث، التنقيح الثاني، ١٤١٦هـ، ط١.

٤٢. قنصل، زكي، الأعمال الشعريّة الكاملة، نشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدّة ـ السعوديّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ط١.

٤٣. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الأمالي، صحّحه وضبط ألفاظه وعلّق حواشيه السيّد محمّد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ إيران ١٤٠٣هـ ق، ط١.

٤٤. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الانتصار، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم، قم ـ إيران، ١٤١٥هـ.

٤٥. الشعيري، تاج الدين محمّد بن محمّد، جامع الأحاديث، دار الرضي للنشر، قم ـ إيران، ١٤٠٥هـ، ط٢.

٤٦. شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، ط١٨.

٤٧. شوقي، أحمد، ديوان الشوقيّات، تقديم: محمّد حسنين هيكل، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ـ مصر، ط١.

٤٨. الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن، إعداد: المؤسّسة الإسلاميّة، مدرسة الإمام علي عليه السلام في قم، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام، قم ـ إيران، ط٢.

٤٩. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم ـ إيران، ط: ١.

٥٠. صدر الدين الشيرازي، محمد، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، البعة الثالثة، سنة الطبع ١٩٨١م.

٥١. الصدر، محمّد باقر، دروس في علم الأُصول، ، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ط٢.

٥٢. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القران، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران.

٥٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق وإخراج أحاديث: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٢.

٥٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تقديم: السيّد محسن الأمين العاملي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت، بيروت ـ لبنان، ط١.

٥٥. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسّسة مرتضوي للنشر، طهران ـ إيران.

٥٦. طنطاوي، محمّد سيّد، العقيدة والأخلاق، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٧. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، نشر دار الثقافة، قم، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٤هـ.

٥٨. الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، طباعة ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ط: ١.

٥٩. الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، نشر دار الكتب الاسلاميّة، طهران ـ إيران.

٦٠. الطوسي، محمّد بن الحسن، المبسوط في فقه الإماميّة، تصحيح وتعليق: محمّد تقي الكشفي، نشر المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة.

٦١. العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغويّة، تحقيق مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم، قم ـ إيران، ١٤١٢هـ، ط١.

٦٢. الفاضل الهندي، بهاء الدين محمّد بن الحسن، كشف اللثام عن قواعد الأحكام، تحقيق وطبع: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة التابعة لجماعة المدرّسين بقم، قم ـ إيران، ط١.

٦٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، ط٢.

٦٤. الفيض الكاشاني، المولى محسن، المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري، مكتب النشر التابع لجامعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم ـ إيران، ط٢.

٦٥. الفيض الكاشاني، المولى محسن، الوافي، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامّة، إصفهان ـ إيران، ١٤٠٦هـ، ط١.

٦٦. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران.

٦٧. المازندراني، محمّد صالح، شرح أُصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، تصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ط١.

٦٨. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ط٢.

٦٩. المرعشي التستري، نور الله الحسيني، شرح إحقاق الحق، تعليق: السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، من منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ إيران.

٧٠. المظاهري، حسين، دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العمليّة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٧١. المظفّر، محمّد رضا، المنطق، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم، قم ـ إيران.

٧٢. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م، ط١.

٧٣. مغنية، محمّد جواد، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، قم ـ إيران، ١٤٢٤هـ، ط١.

٧٤. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الأمالي، تحقيق: الحسين أستاد ولي، وعلي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين، المطبعة الإسلاميّة، قم ـ إيران، ١٤٠٣هـ.

٧٥. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الاختصاص، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم ـ إيران.

٧٦. موسى، محمّد يوسف، مباحث في فلسفة الأخلاق، نشر مؤسّسة هنداوي سي آي سي.

٧٧. الناصري، محمّد، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنيّة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، ط١.

٧٨. نجاتي، محمّد إبراهيم، الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، ط٥.

٧٩. النراقي، محمّد مهدي، جامع السعادات، تحقيق وتعليق: السيّد محمّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفّر، منشورات مطبعة النعمان في النجف الأشرف.

٨٠. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٨١. نيا، محمد حسين فهيم، الأخلاق الإسلاميّة في القرآن، دراسة في الأُسس والمفاهيم، تعريب: الشيخ محمّد نبيل جمعة العاملي، إشراف ومراجعة وتقديم: اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخُلق العظيم، من إصدارات مؤسّسة الخُلق العظيم، العتبة الحسينيّة المقدّسة، النجف الأشرف ـ العراق، ٢٠١٩م ـ ١٤٤٠هـ، ط١.

٨٢. النيسابوري الأزدي، الفضل بن شاذان، الإيضاح، تحقيق وتقديم: السيّد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، مؤسّسة دانشكاه طهران للطباعة والنشر، ط١.

٨٣. الفتّال النيسابوري، محمّد بن الفتّال، روضة الواعظين، تحقيق: محمّد مهدي، والسيّد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم ـ إيران.

٨٤. الهاشمي الشاهرودي، علي، دراسات في علم الأُصول، مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ط١.

٨٥. اليوسفي الغروي، محمّد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، طباعة مؤسّسة الهادي في قم ـ إيران، نشر مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ، ط١.

محتويات الكتاب

مقدمة المؤسسة ٧

(مؤسسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها ٨

رؤية المؤسسة ٩

أوّلاً: فطريّة الميل الأخلاقي وإلهيّته ٩

ثانياً: تكامل النظام الأخلاقي في الإسلام ١٠

ثالثاً: محوريّة الإنسان في الأخلاق ١١

أهداف المؤسسة ١٢

مشاريع المؤسّسة ١٤

١ـ موسوعة المواعظ الحَسَنة ١٤

٢ـ موسوعة الأخلاق الإسلاميّة ١٤

٣ـ ترجمة النتاجات الأخلاقيّة ١٥

٤ـ موسوعة التراث الأخلاقي ١٥

٥ـ إعداد مناهج دراسيّة أخلاقيّة ١٦

٦ـ الأدب الأخلاقي ١٦

٧ـ تحقيق التراث الأخلاقي وتدوينه ١٧

٨ ـ مجلة الخُلُق العظيم ١٧

٩ـ تأليف سلسلة الفضائل والرذائل ١٨
١٠ـ إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقيّة ١٨
١١ـ المشاريع الإعلاميّة ١٨
١٢ ـ إقامة دورات في الأخلاق الإسلاميّة ١٩
١٣ـ المكتبة الإلكترونيّة الأخلاقيّة ١٩
هذا الكتاب ١٩
المقدّمة ٢٣

الفصل الأوّل

إطلالة معرفية

الأخلاق كمفهوم والخُلُق كسجيَّة ٣٠
معنى حُسن الخُلُق ٣٢
الخلق الحسَن وحُسن الخلُق ٣٤
(حُسن الخُلُق) مفهوم واسع ٣٤
سوء الخُلُق ٣٦
حسن الخُلُق بين الطبع والتطبُّع ٣٧

الفصل الثاني

أهمّيّة التحلّي بحُسْن الخلُق

النقطة الأُولى: حُسْنُ الخُلُق حاجة مجتمعية ملحَّة ٤٢
النقطة الثانية: حُسنِ الخُلُقِ في الإسلام.. أهمّيّة قصوى ٤٩

١ـ حسن الخلق في القرآن الكريم ٥٠
٢ـ حسن الخُلُق في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٥٥

الفصل الثالث

حُسن الخُلُقِ... أهمّ المظاهر والمصاديق

١. طلاقة الوجه: ٦٣
٢. إلقاء التحية: ٦٦
٣. السَّماحة والرفق بالناس: ٦٩
٤. الإنصاف والعدل: ٧٣
٥. مواساة الإخوان: ٧٩
٦. الحياء: ٨٣
٧. الاحترام: ٩٢
٨. الإحسان: ٩٩

الفصل الرابع

ميادين بارزة لحُسْن الخُلُق

١ـ الأسرة ١٠٩
٢ـ الأصدقاء ١١٨
٣ـ الجيران ١٢٢
٤ـ طلب العلم ١٢٧
٥ـ العمل ١٣٠

أهمّ مظاهر حُسْن الخُلُق في مدير العمل ١٣١
أهمُّ مظاهر حُسنِ الخلق في العاملين ١٣٤
٦ـ السفر والهجرة ١٣٤
٧ـ مواقع التواصل الاجتماعي..... ١٣٩

الفصل الخامس

حُسن الخُلُق وسوؤه .. الآثار والتداعيات

ثمرات في واحة المجتمع ١٥١
ثمرات وفوائد على مستوى الفرد..... ١٥٧

الفصل السادس

اكتساب حُسن الخُلُق.. العوامل والمؤثرات

١ـ الإيمان بالعقيدة السليمة ١٦٨
٢ـ المثل الأعلى ١٧٤
٣ـ التأمل في الآثار الإيجابية لحُسن الخُلُق والتداعيات السلبية لسوء الخلق ... ١٧٧
٤ـ تهذيب النفس وتنمية الذات ١٧٩
٥ـ استثمار العبادات والدعاء..... ١٨٢
٦ـ اختيار البيئة السليمة ١٨٥
الخاتمة ١٩٩
مصادر الكتاب..... ٢٠١
محتويات الكتاب ٢١٣